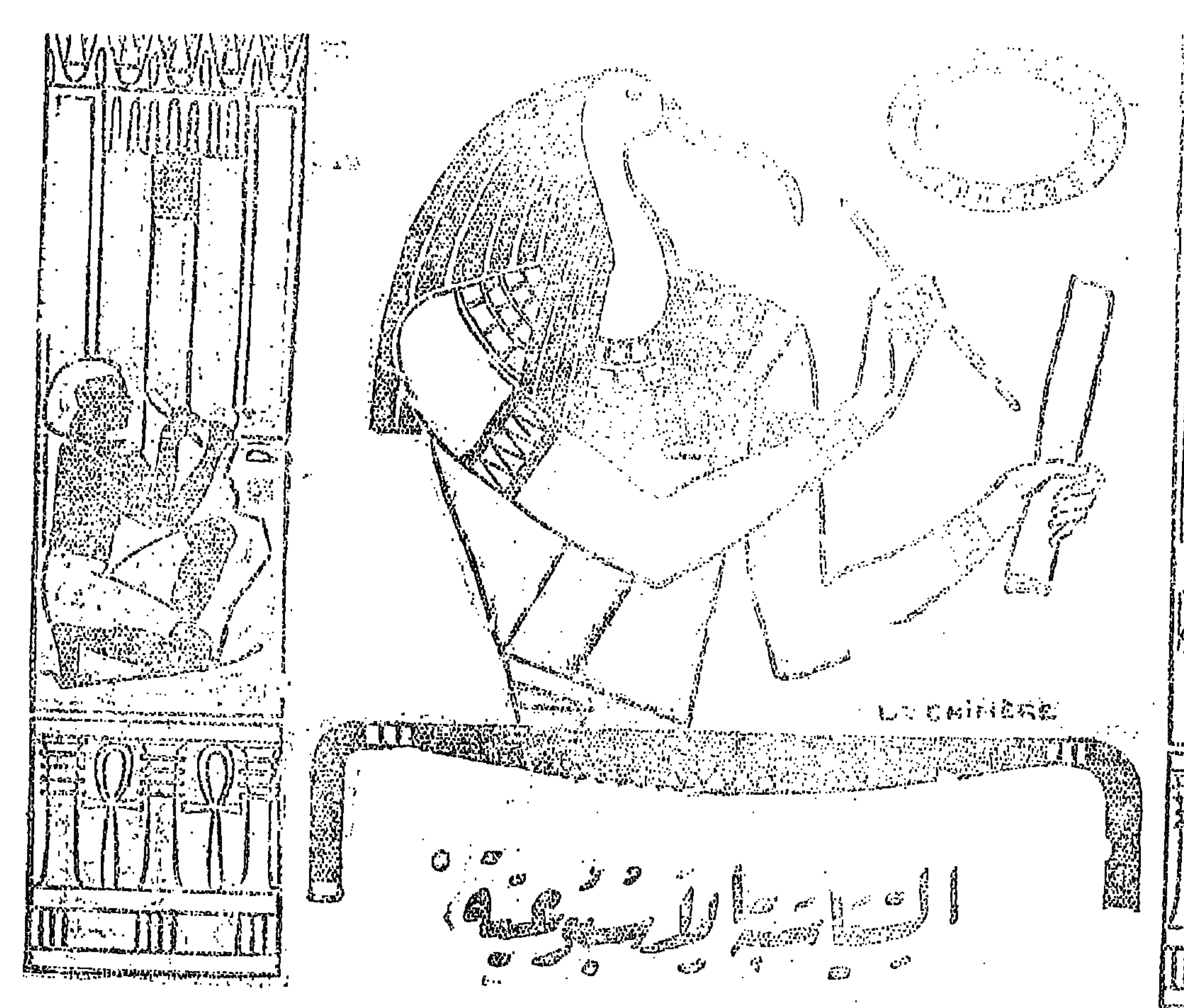


السياسة الأسبوعية

ASSIASSA HEBDOMADAIRE

وصول أول طيار مصرى الى القاهرة

في ٢٦ يناير سنة ١٩٣٠



الطيار محمد صدقى

(التتمة ص ٢٢)

في هذا العدد

في هذا العدد

لورد بيرون

(بقية المنشور على صفحة ٢٠)

.. وتوالت الآلام بعد ذلك على بيرون بموت ابنته الليجرا ابنته من كلار كليرمونت وكان موتها فى عامها السادس فى ٢٠ ابريل عام ١٨٢٢ . وحزن بيرون عليها كثيراً .. وان كان لم يرفق بأمها أثناء حياتها وسامها ألواناً كثيرة من المهانة . ثم فجع بعد ذلك فى صديقه الشاعر الشاعر المجيد برسى بيش شيلى الذى مات غرقا فى يخته أثناء رحلة صغيرة .. وكان وداعه الاخير له حين شاهد جثته هو وصديقه ... طعمة للنيران فى ١٦ أغسطس

... تكاد نصفح بعد ذلك صفحة جديدة مجيدة فى تاريخ بيرون ، فلقد كان صديقاً للحرية .. وللامم المظلومة كما كان شاعر الجمال والحب . فلما ثار اليونانيون على الاتراك هاجت فى نفسه الذكريات .. وأراد أن يخلص أرض الاغريق المتألقة من براثن الاستعمار .. فرفع الصوت عالياً مطالباً باستقلالها . وكان بيرون قد انتهى من تأليف « الجزيرة » بادئا فى كتابة دون جوان أثناء نبأ بانه انتخب عضواً فى المجلس اليونانى .

.. فسافر بيرون بعد ذلك الى جزائر اليونان يساعد الثوار .. طامحا فى أن ينتخب يوما ملكا على اليونان ! ..

وفى ٢٠ يناير عام ١٨٢٤ وصل مسولونجى وانتخب رئيسا للأسطول .. ولكن صحته كانت قد اعتلت ونهكت .. فما لبث حتى دكه المرض . ففى ١٥ فبراير عرته نوبات عصبية فسارع بعلاجها .. واستعاد صحته قليلا .. ولكن المرض كان قد اخترمه . ففى الاسبوع الاول من ابريل اضطر الى الانزواء فى منزله . ولكنه تمكن فى التاسع من هذا الشهر من الخروج حين أتته رسالة من أخته تبثه فيها روح الاقدام والشوق وكان الجو اذ ذاك ممطراً فأضره . ثم خرج مرة أخرى يوم ١١ ابريل .. وكانت آخر مرة له !

وأخذت صحته تتدهور وتسوء حتى أصبحت ساعاته معدودة . وفى الساعة السادسة من مساء ١٩ ابريل سنة ١٨٢٤ اختفى نجم بيرون من بين الاحياء .. الى سماء الخلود وقد بلغ من العمر ستا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .

وأوصى بيرون بأن يكون تراثه كله لأخته التى كان يهذى باسمها هى وزوجته وأمه وابنته فى ساعات احتضاره .

... أما حزن اليونان عليه .. فقد كان عظيما ، حتى اتشحت يومها بعلامات الحداد واطلقت فى الصباح المدافع إجلالا لروح الفقيد .

وفى ٢٥ مايو ارسل جثمانه الى انجلترا ليدفن فى مقره الاخير ، ماعدا قلبه الذى كان يحب اليونان به ، فقد احتفظوا به ليبقى فى مسولونجى حيث مات دفين ثراها .

... هذه الالمامة القصيرة عن حياة لورد بيرون .. لا تكاد تحوى كل ما أحببت أن أتحدث عنه .. أجل ! الحياة بيرون وشعره تضيق به صفحات زاخرة المندة ولكنى عمدت الى أن أعطيك صورة واضحة منه .. وعمدت الى أن أمثل لك أقوى الجوانب الطافحة التى غمرت حياته وأوحت له أشعاره الخالدة .

ان بيرون من أولئك الشعراء الذين ذاقوا مرائر العيش وحلاوته والذين عرفوا المجد فى الشعر كما عرفوه فى الحب والحرب ، وهو من أولئك الشعراء امثال جوت ولامرتين وشيلى ممن أمات عليهم حياتهم الشعر ، من أولئك الذين عبدهم الجمهور آنا ثم نبذهم أوانات كثيرة . ولكن بيرون يمتاز عن كل هؤلاء بعاطفته القوية وحياته الزاخرة التى لعب النساء فيها الدور الاول .

ولقد كان بيرون إباحيا الى حد ما .. ولكن تلك العبقرية التى خلدها فى اشعاره تجعلنا نحكم على بيرون حكما لاتفسده الاغراض او الشهوات .. ولا يمكننى ان اختم التحدث عنه فى هذه الالمامة دون ان اشير الى صداقة بيرون مع مور .. تلك الصداقة التى كانت سببا فى اسيان كثيرة فى دفع الاتهامات التى كانت تكال لبيرون من المجتمع الانجليزى .

اجل ... فلقد دافع مور كثيراً عن بيرون كما ابان للناس نواحى من حياته الخاصة .

ولعلنى اكون قد وفقت الى ان اقدم لك هذه الصورة دون تشويه .. فان إعجابى ببيرون يحدونى ان اقدم لك حياته فى كثير من الاعجاب وفى كثير من الرضا ايضا .

محمد عزت موسى

هرناني

(بقية المنشور على صفحة ٢٥)

زعيم الثوار ـــ ولما كان شارل ملك اسبانيا قد عول على أن يسومنا سوء العذاب فما علينا لا أن نستخدم آخر وسيلة للدفاع عن أنفسنا وهى قتل الملك نفسه . وهنا أمام قبر شرلمان ، علينا أن نجرى القرعة لنرى أينا يفوز بالقيام بهذا العمل المجيد .

(يكتب الثوار أسماءهم على قطع من الورق ثم يضعونها فى اناء .. يركعون ويتعبدون فى سكون ـ يتناول الزعيم أحد تلك الاوراق)

المتآمرون ـــ من هو ؟ من ؟

الزعيم ـــ هرنانى !

هرنانى ـــ حمداً لله ! انتدبت فى النهاية .

دون رى جومز ـــ لا .. سأقتل أنا الملك ـ احتفظ أيها الرجل بحياتك وانج بنفسك وبدوناسول .

(يملى النفير لهرنانى)

هرنانى ـــ لا .. ان لى أكثر منك أرباب الانتقام !

الزعيم ـــ دون رى جومز ستضرب الضربة الثانية اذا أخفقت الاولى .. تعالوا الان نقسم على قتل الملك حتى ولو متنا جميعا !

المتآمرون ـ نقسم

شارل (يخرج من مخبئه)

أنتم قوم مائتون !

(يضاء المكان بعدة مشاعل ، وتظهر فرقة من الجند كانت مختبئة وتحيط بالمتآمرين)

شارل (الى أحد جنوده)

احضر السيدة

(مخاطبا هرنانى)

ما اسمك الحقيقى أيها الرجل ؟

هرنانى ـــ سأعلن حقيقة نفسى مادام مصيرى الى الهلاك ، أنا جوان دى أرجوان ـ ديولا دى سيجروب .... هذه ألقابى التى تعرفها والتى اغتصبتها منى

(يرجع الجندى ترافقه دوناسول فتلقى بنفسها أمام الملك)

دوناسول ـــ مولاى اصفح عنه !

شارل ـــ قومى أيتها الدوقة دى سيجروب . ماهى بقية ألقابك دون جوان ؟

هرنانى ـ من ذا الذى يخاطبنى بهذه اللهجة ؟ الملك ... ؟

شارل ـ لا .. انه الامبراطور ! رجل يخالف الملك !

(يلتفت الى الثوار وقد علتهم الدهشة) وسينال الخلاص وتعضيدكم أيها الاصدقاء أعمرا الله أن يوطد قدمى لأسير فى الطريق الذى سلكه شارلمان من قبل ـ دون جوان اصفح عنى ... (ركع العاشقان الى جانبه) المتآمرون ـــ ليعش الامبراطور ولتحى ... الامبراطور هرنانى

الفصل الرابع

(أرض تموجا بقصر ارا جون ، الليل ... انسحب المدعوون ... حيث احتفلوا بزواج هرنانى ودوناسول)

دوناسول ـــ وأخيراً ، أى زوجى ... صرنا وحيدين ! كم أشعر بسرور لانتهاء الحفلة بضوضائها !

هرنانى ـــ وأنا أيضاً يعتقنى هذا ... من السرور الوحشى ! ما السعادة الا ... هادىء عميق ، تشبه فى عمقها وروعتها ... الخالدين !

دوناسول ـــ انى سالسعادة والحب ... فى النفس كما تهيمن أصوات الموسيقى ... على السكون .. هرنانى اسمع ! ما هذا !

(يسمع صوت نفير ، آت من الجبل يحمله الهواء) إن أحد الجبليين يعزف على القصب !

(يترنح هرنانى كالثمل)

هرنانى ـ لقد عاد النفير ثانية ! النفير ... الاشيب ! انظرى فى ثلال الظلال !

دوناسول ـ هرنانى ! ما الذى يروعك

(يسمع صوت النفير ثانية)

هرنانى ـ إنه يطلب دمى ! ولن أتأخر

(يدخل دون رى جومز وهو ينفخ فى البوق وكأنه قد اعتراه نوع من الجنون)

دون رى جومز ـ الا تحتفظ بوعدك ألم تقل ان حياتك ملك لى ، وإنى ... متى شئت بأن انفخ فى هذا النفير !

هرنانى ـ ولكنى لا أملك سلاحا !

دون رى (متقدما له خنجراً وسما) أيها تختار ؟

هرنانى ـ السم ؟!

دوناسول ـ هرنانى ـ ماذا ؟ أجننت

هرنانى ـ لقد انقذ حياتى ، لما كنا فى ... فاعطيته وعداً صريحاً بأن أقتل نفسى فى ... وقت يريد

(يهم برفع الزجاجة الى فمه فتخطفها دوناسول)

دوناسول ـ (الى مربيها)

ماذا تعنى بقتل زوجى ؟!

دون رى ـ لقد أقسمت ألا يتزوجها غيرى ـ وها أنا أوفى القسم

(دوناسول وقد اعتراها الجنون تشرب نصف القارورة وتعطى الباقى لهرنانى)

دوناسول كلا كما رجل فاس ! تجرع هذا السم ودعنا ننام مستريحين !

هرنانى (وقد أفرغ ماء الزجاجة فى جوفه) قبلينى أيتها الحبيبة .. ماذا ؟ ألا تتذكرين هذه ليلة الزفاف !

دوناسول ـ وقد سقطت بجانبه (على الارض)

فلتمض بين ذراعيك أيها الحبيب ادون رى ... آه ... انى تعس هالكه !

(يقتل نفسه)

تسدل الستار

القاهرة   أحمد صادق اسماعيل

السبت ١ فبراير سنة ١٩٣٠ — السنة الرابعة — العدد ٢٠٤

السياسة الأسبوعية

ادارة الجريدة بشارع المناخ رقم :
تليفون ١١٤١ مدينة
رئيس التحرير المسئول
محمد حسين هيكل

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة
الاشتراكات : عن سنة داخل القطر ٦٠ قرشاً
« خارج القطر ٣٠ شلناً

AL SIASSA 60 Rue Manakh - Le Caire
Téléph. 1141 M.

الادب العربي فى العصر الحاضر

المجددون المصريون

بقلم الاستاذ ه . ا . ر . جيب

الاستاذ بمعهد الدراسات الشرقية بلندن

— ١ —

(كتب المستر جيب مقالا طويلا عن الادب العربى فى العصر الحاضر والمجددين من المصريين تناول فيه، كما يرى القارىء، كل الادباء المصريين من أمثال الدكتور هيكل بك والدكتور طه حسين والاساتذة العقاد والمازنى وسلامه موسى وغيرهم، وسننشرها تباعا).

ان الفترة الواقعة بين سنتى ١٩١٤ — ١٩١٩ الا كانت فترة هدوء نسبى ، الا أنها فى الواقع دور انقلاب فى نشوء الادب العربى الحديث، ولكن الحرب على الرغم من التوافق فى التاريخ لم تكن هى مرجع هذا التغيير لا مباشرة ولا بالواسطة ، وانما العنصر الجديد الذى أحدث هذا التغيير هو ظهور طائفة متميزة من الكتاب المصريين ، بدأت صغيرة فى السنوات السابقة للحرب واستجمعت قوتها فى خلالها ثم برزت فجأة على أثر استئناف النشاط الادبى . ولا بد لادراك دلالة هذه الحركة وقيمتها من الرجوع الى احوال ١٩١٢ ، ففى ذلك الوقت — كما بينا من قبل — كان هناك عراك حاد بين مدرستين فى عالم الادب ، فكان هناك المحدثون — وهم فى الاكثر سوريون أو على الأصح سوريون أمريكيون على رأسهم المتأمركون منهم ، والى جانبهم أنصار المذهب القديم الذين كانوا يتشبثون بالتقاليد الاسلامية فى العصور الوسطى والذين هم الغالبة فى مصر وفى سورية المسلمة ، وبين هذين الفريقين جماعات شتى ، وفى جملتها عدة كتاب كان لكل منهم أركين ، ولكنهم لم تتكون منهم مدرسة لها وحدة الاسلوب أو الغاية حتى تستطيع أن توازن إحدى المدرستين . وأشهر هؤلاء الكتاب المتوسطين المويلحى والمنفلوطى، ولكن لا زيدان ولا المنفلوطى — كما بينا فى الفصل السابق — على مواهبهما العظيمة وشهرتهما الواسعة أن يحدثا حركة أدبية معينة، فقد كانت [illegible] زيدان لا لون لها وكانت الى هذا بالية، وكان المنفلوطى سطحى التفكير وشديد التمسك بالاسلوب العتيق لا يجتذب الى [illegible] من الأدب العربى شيئا يستحق المقارنة بالآداب الغربية التى ألفوها [illegible]

بذلك مركزاً بارزاً فى الأدب العربى الحديث على الرغم من الحملات العنيفة التى وجهها اليهم المقلدون. وليس من الضرورى هنا أن نتناول بالتفصيل آراءهم وأساليبهم الأدبية، فقد كتب عنهم الأستاذ كراتشكوفسكى مقالا بديعا فى مجلة « العالم الشرقى »، غير أنهم فى السنوات العشر الاخيرة تحدت المدرسة المصرية الجديدة زعامتهم ونجحت فى تحديها لهم.

وقد بدأت المدرسة المصرية الجديدة بتأسيس صحيفة «الجريدة» فى سنة ١٩٠٧، وهى التى كانت لسان حزب الامة، وقد رسم سياسة الجريدة مديرها السياسى الاستاذ أحمد لطفى السيد بك، فلم تلبث أن صارت بفضله - على خلاف زميلاتها المصرية من مثل اللواء لصاحبه مصطفى كامل الذى كان متفرغا للغايات السياسية، والمؤيد وهى الجريدة المحافظة - ميدانا لحركات الاصلاح الاجتماعى والادبى فى ذلك الوقت . واجتمع حول لطفى بك الشبان المثقفون من جيل مصر الجديد الذين أشربوا الآمال القوية الناشئة، وكان تعليمهم على القواعد الغربية أوفى وأتم من تعليم أسلافهم وأشبعت نفوسهم روح الثقافة الغربية بطول الاحتكاك، أثناء دراستهم فى فرنسا على الأكثر. وكانت آمال هؤلاء الكتاب الشبان لا تقتصر على أن يروا بلادهم حرة من الوجهة السياسية بل أن تستطيع كذلك أن يكون لها مكان لائق بها فى العالم المتمدين ، ثم انهم فضلا عن ذلك مسلمون، ولكنهم مسلمون أشربوا روح الامام محمد عبده وراحوا يحاولون بفضل ذلك على تكييف قواعد الاسلام وأصوله طبقا لمطالب الحياة الجديدة والفكر الحديث . وقد كانوا يحسون الشعور بالتناقض الحالى ومقتنعين فى الوقت عينه بان المسألة يمكن ويجب أن تحل، ولكن لا بالرجوع الى الماضى ولا بقطع كل صلة به على نحو ما فعل السوريون المتأمركون، ولكن من طريق التربية [illegible] وهذه هى المهمة التى

أبرز أعضاء المدرسة الجديدة وفى جانبهم محمد حسين هيكل الذى كان فى ذلك الوقت يدرس القانون فى باريس والذى صار بعد ذلك لسان الدعوة الرئيسى الى هذه المثل.

على أن هذه الحركة الجديدة ظلت فى طفولتها الى سنة ١٩١٤ وطغا عليها فى بلادها الكتاب السوريون والمحافظون الوطنيون . وجاءت الحرب فوقفت الى حين نشاطها الظاهر واحتجبت «الجريدة» وان كان (السفور) قد حل — الى حد ما — محلها، وتولى أمره عبد الحميد حمدى أحد محررى الجريدة ثم أحد محررى السياسة فيما بعد . ولكن الحركة مضت تستجمع قوتها وتنمو حتى أينعت وآتت ثمارها بعيد الحرب. ومما ثبت دعائم الحركة وشد أزرها اعادة تنظيم الجامعة المصرية وعلى رأسها لطفى بك السيد مديراً لها، وانشاء حزب الاحرار الدستوريين الذى أسس جريدة السياسة فى سنة ١٩٢٢ ووكل رياسة تحريرها الى حسين بك هيكل. وبفضل هاتين الهيئتين اللتين كانتا على اتصال وثيق تسنى لقوات التربية والاصلاح المبشرة أن تتجمع وتتعاون وأن يكون لها تأثير يزداد قوة فى الرأى العام المصرى . وفى الوقت نفسه جاءت قوة الحركة القومية المتزايدة فى الشرق العربى بسبب الحرب والحماسة التى أثارتها حافزاً جديداً لنشاط المدرسة الجديدة أكسبت آثار هذه المدرسة عطف البلدان العربية على اعتبار أنها تمثل الغايات والمثل التى تعتنقها هذه البلدان جميعا على تفاوت بينها . ومع أن رجال هذه المدرسة جرفتهم موقتاً دائرة السياسة العنصرية المتطرفة فى مصر، ومع أنهم اضطروا مراراً أن يخضعوا لحكم الظروف القاهرة الا أن الدوائر المتعلمة فى كل البلاد العربية المتمدينة قد تأثرت بنشاطهم وجدهم، كما تأثرت بالاتصال الوثيق بحقائق الموقف وبصدق الكتاب المصريين فى الاعراب عن آمالهم على خلاف تلك الطائفة المنعزلة من السوريين المتأمركين (١) ، كما عاونت هذه الدوائر على اتخاذهم ميراث الاسلام واللغة العربية قاعدة لهم .

وصحيح اذا تناولنا العناصر فرادى أنه ما من عنصر من التى أنشأت المدرسة الجديدة، وقليل من مثلها العليا، كانت جديدة أو مبتكرة فى الادب العربى الحديث — وهذه حقيقة تفسر بعض الشىء غموض بدايتها. ومن الصحيح أيضا أن اطلاق لفظ « المدرسة » على هؤلاء الكتاب فيه بعض التضليل وان كان تعبيراً مريحاً، ذلك أنهم ينتمون الى فرق شتى وبين افرادهم فروق واسعة فى الاساليب والنشأة والمزاج، حتى ان اعتبارهم جميعاً من مذهب واحد لا يخلو من اعتساف، ولكنهم على هذا يكونون

فيما بينهم مدرسة لها من الحدود المضبوطة مثل ما للسوريين المتأمركين الذين توجد بينهم فروق فردية كهذه ولكن بينهم رابطة فى الغايات المتميزة والصفات الغالبة الى حد ما . وهم جميعا (أى المصريون) يحاولون أن يكسبوا الادب العربى الحديث عمقا وسعة وأن ينقذوه من السطحية الدافقة التى يتعرض لها الادب القائم على الصحافة. واكثرهم يرمون الى تطبيق المقاييس الادبية والفنية الحديثة على كنوز الادب العربى القديم وعلى ما يخرجه الكتاب المعاصرون، وأن يقوموا بكل ما فى وسعهم لانشاء مدنية جديدة. ثم انهم يتجاوزون بالحاجة جديدة خالية من حدة تلك العداوة القديمة بين المجددين والمقلدين ، وهم يستخدمون احاطتهم فى ايجاد لغة أدبية جديدة توافق المقاييس والغايات الحديثة وتحتفظ بموسيقية العربية المألوفة . وقد وفقوا الى حد كبير، فلم يبق أثر يذكر لتلك المنازعات العتيقة التى كانت تتم بين المجددين والمقلدين على استعمال الالفاظ ، وحلت محل ذلك المناقشات بين المحافظين والاحرار فى أصول الثقافة الجوهرية، وصار كون الكاتب مجدداً — من الوجهة الادبية — رهنا لا بالمزايا السطحية فى كتابته بل بما يجيب به على مثل هذا السؤال: الى أى حد يعتمد الادب العربى على مصادر التقاليد الاسلامية ؟ على أنه ليس هناك كاتب مسلم واحد يرفض الماضى الاسلامى كله كما يفعل السوريون المتأمركون بل ان من مميزات المدرسة المصرية عن السورية الامريكية أن أشد رجالها (أى المدرسة المصرية) تطرفا فى التجديد يرمى الى ما يسميه جبران خليل جبران متهكما « ترقيع الثوب المهلهل ».

على أن هذه الخصائص ليست بطبيعة الحال وقفا على الكتاب المصريين ، وانما يصدق عليهم وصف « المدرسة المصرية » ليس فقط لان الزعماء منهم مصريون جميعا بل على الاكثر لأن خصائص أخرى برزت تدريجا ومن العسير الى الان تحديدها ، اذ كانت قابلة لان تتخذ مظهراً هو أكبر من حقيقتها، ومن الممكن أن نسميها «النزعة المصرية» وهى تظهر فى الميل الى تقديم مصر على العالم العربى، وهم يحسون ان مصر لا تزال جزءاً من العالم العربى ، ولكن عليها مع ذلك أن تخلق ثقافتها الخاصة وان تقوم بنصيبها الخاص فى خدمة الادب والفكر. وأبرز ما يكون هذه الظاهرة فى نواح من الادب الشعبى ولا سيما فى التمثيل حيث ذهب البعض الى اتخاذ اللهجة العامية المصرية أداة للتعبير. فليس من المستغرب أن تحاول البلدان العربية الاخرى أن تغض عيونها عن هذه النزعة التى تبدو لها شيئا غريبا فيها من جانب المجددين المصريين (١). على أن

(١) يشير الكتاب السوريون [illegible]

الالعاب الرياضية

المباراة الاولى لنيل كأس بالى

للتنس بين مناطق القطر المصرى

نبذة تاريخية — شىء عن قانونه — وصف لمباراة وحيد وزرلاندى فى الالعاب الفردية — وصف بعض مباريات الالعاب الزوجية — نتائج المباراة فى لمحة — كلمة ختامية .

نبذة تاريخية

لم يكن فى مصر اتحاد للتنس يشرف على هذه اللعبة ويعمل على رقيها وتشجيعها وكانت المباريات تقام باتفاق الاندية مع بعضها من غير أن تسجل نتائجها . واعتاد نادى الجزيرة فى مصر ونادى الالعاب (سبورتنج) فى اسكندرية أن يتبادلا الزيارات فى كل عام وكانت مجموعة اللاعبين فى الناديين أحسن الموجود فى القطر المصرى حينئذ .

وفى عام ١٩٢٣ رأى المرحوم المسيو الميربالى، وكان من هواة هذه اللعبة ومن البارزين فيها، أن يقدم كأساً ليكون التنافس الذى يذكى نار الحماس بين اللاعبين فيعمدون الى التمرين المتواصل وبذلك يضمن خروج الافذاذ فى هذه اللعبة كما يضمن طريقة لانتشارها فى مصر .

ولم يقصر هذا الكأس على لاعبى الناديين الكبيرين بل جعل التنافس فيه بين الاسكندرية والقاهرة ، ولا بد أن يأتى الوقت الذى تتغير فيه الاحوال [illegible] اللعبة فى ربوع القطر المصرى فيكون التنافس عليه بين مناطق القطر [illegible] وخصوصا .

وفازت منطقة الاسكندرية بالكأس فى عامها [illegible]

٦ — يجوز للاعب أن يشترك فى الالعاب الفردية والزوجية على السواء .

٧ — تهدى الكأس للمنطقة التى فازت فى الدفعتين بادوار تزيد فى مجموعها على ما حصلت عليه الاخرى .

وصف لمباراة وحيد وزرلاندى
فى الالعاب الفردية

وعلى هذا الاساس أقيمت المباراة الاول لنيل هذا الكأس هذا العام فى يومى السبت والاحد ٢٥ و ٢٦ يناير سنة ١٩٣٠ بملاعب نادى الجزيرة ابتداء من الساعة ٢ ونصف يوميا الى ما بعد الخامسة بقليل . فاقيم فى اليوم الاول جميع مباريات الالعاب الفردية الست كما اقيم ثلاث مباريات من الالعاب الزوجية . واتيح لنا أن نشاهد مباراة وحيد وزرلاندى التى استمرت من منتصف الساعة الثالثة الى الساعة الرابعة وانتهت طويلة بعد ثلاث مجاميع فى ثلاثة وثلاثين شوطا تكرر التعادل فى كثير منها غير مرة بل كانت النقط تنتزع بعد تبادل ضربات عديدة تارة سريعة قوية وتارة بطيئة حسب ظروف المباراة .

ولهذه المباراة أهمية خاصة ذلك لأن «زرلاندى» هو عضو من أعضاء الفريق الذى مثل اليونان فى كأس ديفيس الدولية للتنس كما أن «وحيد» عضو من أعضاء الفريق المصرى فى تلك [illegible]

وصف بعض مباريات الالعاب الزوجيه

شكرى وقصدغلى ضد جرنجوبو وزرلاندى

واستعمل ثلاثة ملاعب دفعة واحدة للثلاثة الأزواج الذين يمثلون كل منطقة. وقسمنا الوقت بحيث أتيح لنا أن نشاهد الثلاث المباريات التى اشترك فيها كل زوج من فريق القاهرة . فشاهدنا شكرى وقصدغلى ضد جرنجوبو وزرلاندى فى اليوم الاول . وكان أظهر لاعب فى هذه المباراة (جرنجوبو) الذى صال وجال فى ناحيته من الملعب فكان يتلقى الكور التى على الشبكة ويسحقها . وكان جميلا أن نرى الكرة تغدو وتروح طائرة بين الناحيتين عدة مرات من غير أن تلمس الأرض وبسرعة وبحنكة مدهشة . وامتاز (شكرى) ايضاً بضربات ساحقة ايضا كانت تنتزع من الجمهور اعجابهم . وما عدا ذلك فقد كان (شكرى) غير موفق فى ضرباته، ورغما من ذلك فقد كاد فريق القاهرة يفوز بالمجموعة الاولى وكانت الاشواط لا تنتزع منهم فى المجموعة الثانية الا بعد تعادل فى النقط يستمر غير مرة . وكانت نتيجة هذه المباراة فوز الاسكندرية ٩ر٧ — ٦ر٣ .

ديكهوت وجردنر ضد جرنجوبو وزرلاندى

وهذه مباراة بين ندين آخرين وكان النصر فيها حليف ديكهوت وجردنر (القاهرة) ١ر٦ ٧ر٥ — ٦ر٢ . ولئن ذكرنا شيئا فانما نختص الزوج الفائز ذلك أنهما كانا يعملان لنجاة كورهما من ردات جرنجوبو الساحقة باستعمال منتهى الحكمة فى تخير الاماكن ، فكان ديكهوت يرد الكرة بشدة فى النواحى البعيدة عن جرنجوبو كما كان جردنر يردها سهلة بسيطة فى الناحية التى يتعذر ردها ، وكم أعجب الجمهور بسرعة اللعب ورد الكرة وهى طائرة بل وتبادلها مرارا من غير ان تلمس الارض فى نواح متعددة وكلا الخصمين قريب من الشبكة يردها بحذق ومهارة .

وليس هناك أن جردنر وديكهوت كانا أحسن زوجين فى الفريق المصرى وكفاهما فخرا أنهما وحدهما هما اللذان نالا فوزاً فى دورين على الاسكندرية .

وحيد وجوب ضد زهار ورتشرز

وأتيح لى أن أرى زوجين آخرين من القاهرة ضد مثلها من الاسكندرية وقد استمر اللعب بينهما ثلاث مجاميع فى أربعة وثلاثين شوطاً كان جل أشواطها لا ينتهى الا بعد تعادل فى النقط مراراً . بدأ الاسكندريون بثلاثة أشواط فى المجموعة الاولى ثم فاز فريق القاهرة بأربعة بعضها وراء البعض وبعد ذلك أحرزت الاسكندرية شوطاً رابعاً فخامسا ثم اعتدل فريق القاهرة وفاز بثلاثة أشواط وانتهت المجموعة الاولى للقاهرة ٧ر٥.

وفى المجموعة الثانية أحرز فريق القاهرة ثلاثة أشواط معاً ولكنهما بعد ذلك فقدا ثلاثة مثلها . وظهر الضعف والاعياء على فريق القاهرة فى هذه المجموعة ٤ر٦ .

وفى المجموعة الفاصلة بدأت القاهرة ثلاثة أشواط ولكن هذا النصر لم يدم طويلا اذ أحرزت الاسكندرية خمسة أشواط متتالية، ثم تعادل الزوجان بخمسة أشواط وأخيراً فازت الاسكندرية ٧ر٥

وكان اللعب لذيذاً وأظهر الفريقان جلداً متواصلا وحنكة وقوة. اذا كان ينقص وحيد وزهار شىء من الثبات فقد كانا يظهران التأفف اذا اخطأا لعبة أو ضاع منهما شوط .

وفيما يلى ننشر النتائج عامة :

نتائج المرة الاولى لكأس بالى للتنس

بين منتخب الاسكندرية ومنتخب القاهرة بنادى الجزيرة فى يومى ٢٥ و ٢٦ يناير سنة ١٩٣٠ فى لمحة

لاعبو القاهرة	لاعبو الاسكندرية	النتيجة	القاهرة مرات الفوز	الاسكندرية مرات الفوز
[illegible]	[illegible]	[illegible]	١	
[illegible]	[illegible]	[illegible]		١
[illegible]	[illegible]	[illegible]	١	
[illegible]	[illegible]	[illegible]		١
[illegible]	[illegible]	[illegible]		١

النزعة موجودة وهي تزداد وضوحا بسبب الموقف السياسي من جانب، وكذلك من جراء الاهتمام والفخر الجديدين بالمدنية المصرية القديمة، وهو اهتمام يمد زعماء الحركة الوطنية المصرية افاضته وبثه . غير أن قوة هذه النزعة في الوقت الحاضر تختلف تبعا لاختلاف الكتاب ولكنها قد تصبح عاملا حاسما في نشوء الفكر العربي الجديد (١)

وينقسم أكثر الكتاب المصريين المجددين الى فريقين: فريق متأثر بالادب الفرنسي على الاكثر، وفريق كان الادب الانجليزي أقوى أثرا في نفوس رجاله وان لم ينفرد وحده بالتأثير. وزعيم الفريق الاول هو محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير السياسة وأخته السياسة الاسبوعية التي أنشئت في سنة ١٩٢٦ . وقد صارت السياسة زعيمة صحف الفكر الحر بين المصريين المسلمين ، منافسة بذلك الجريدتين السوريتين القديمتين الاهرام والمقطم . ولم يشتغل الدكتور هيكل بك بالصحافة إلا حديثا ـ ١ ـ وكان أول كتاب له أصدره رواية اقتحم بها ميدان الأدب التخيلي وجعلها صورة لحياة الريف المصري وأسماها « زينب » ولم يذكر اسمه عليها في ١٩١٤ ـ ٢ ـ ثم انقطع بضع سنوات بعد ذلك للمحاماة، وفي سنة ١٩٢١ نشر جزأين من دراسته لحياة روسو وأعماله ـ ٣ ـ ومنذ ١٩٢٢ لم تترك له رياسة تحرير السياسة إلا وقتا ضئيلا للكتابة الأدبية فلم يصدر من الكتب بعد ذلك إلا مجموعة فصول ومقالات نشرها في صحف شتى وسماها « في أوقات الفراغ » ـ ٤ ـ ورسالة عن زيارته للسودان لمناسبة افتتاح خزان مكوار سماها « عشرة أيام في السودان » ـ ٥ ـ

ويرجع الفضل في النفوذ العظيم الذي اكتسبه في العالم العربي كله الى صحفه والى مقالاته الوصفية ودراساته . وغرضه الأول القريب هو تهذيب اللغة العربية وجعلها مرنة صالحة للعبارة عن الآراء والمثل التي توحيها المدنية المصرية . وقد وجد قبل ذلك بزمن طويل أن متن اللغة العربية يجعلها في مركز لا تحمد عليه بالقياس الى لغات أوربا الغربية . حتى لقد روي أن روحه كانت تتمرد حين يجد نفسه عاجزا عن التعبير بلغته عما يحسه في قلبه ويتصوره عقله على حين تدنو العبارات الانجليزية أو الفرنسية المؤدية لذلك في ذهنه (٢) . وهذه

خدمة ليس أقدر من الصحفي على أدائها . وفي سبيل هذه الغاية يكتب الدكتور هيكل كل اسبوع مقالاته الوصفية والنقدية التي يختبر بها ويكمل قدرة اللغة العربية على العبارة عن الظلال الدقيقة للمعاني . واللغة ليست سوى اداة، ويجب أن تظل معقولة والاصداث. ولا يجوز أن يسمح للاعتبارات المتعلقة بالاستعمال القديم أن تحول دون تكييف اللغة على مقتضى الآراء الحديثة. واعتقاده هو أن الاديب الحقيقي ليس هو الرجل العارف بالالفاظ العويصة العتيقة، بل هو الذي يستطيع أن يكسو آراءه الجميلة أو أفكاره الدقيقة أو خيالاته ثوبا يشف عما فيها من الجمال والابتكار . وكلما كانت الالفاظ أسهل كانت أعذب في السمع وأدنى الى القلب وأفتن للعقل .

على أن صقل اللغة وإعدادها لمطالب العصر ليسا في نظره أكثر من خطوة أولى في سبيل غرض أوسع وأكبر، وهو غرض يشاركه فيه كل رجال المذهب الجديد . فانهم يرون أكبر الخطر في الهوة الموجودة بين الكاتب والجمهور ، على مستقبل الأدب المصري، وليس يسع المرء الا أن يعطف على المقادحين يقول في ساعة من ساعات اليأس ان القراء في مصر أحد رجال ثلاثة: واحد يقرأ الروايات والنوادر، وآخر يقرأ الأدب العربي القديم، وثالث يقرأ الأدب الغربي .

وكل كاتب يحاول على طريقته الخاصة أن يعبر هذه الهوة وأن يرفع مستوى الذوق الأدبي في مصر . وهم جميعا يحسون أن السواد الأعظم خليق أن ينحاز الى جانبهم من تلقاء نفسه وأن يؤيد جهودهم إذا أمكن ايجاد صلة نفسية بينهم وبينه . ويعتقد الدكتور هيكل أن الطريقة الوحيدة لتحقيق الوحدة هي العمل لانضاج الثقافة القومية الصحيحة . وليس هنالك في الوقت الحاضر ثقافة شعبية في البلاد العربية ـ لاشيء الا التقليد الغربي ـ وهذه الثقافة القومية لا تتحقق بالتقليد . ذلك أن الشعوب العربية واللغة العربية في رأيه قد اندمجتا اندماجا لا انفصام له في الجانس، وقد أعدت اكتمالها لحمل مدنية الانسانية في كل مظاهرها من علم وفن وأدب . كذلك لا يمكن تحقيق ذلك باغفال الماضي . وفي سبيل تحقيق هذه الغاية يجب أن يتعاون المجدد والمالك والابقى الفوز في جانب السوريين المتأمركين واعت الثقافة الاسلامية . وستكون المهمة طويلة وشاقة، وهي تستدعي عمل الأجيال العديدة والتضحية منها . والتعجل الذي هو داء الشرق الآن يفضي الى الكوارث . على أن شيئا يمكن القيام به في أثناء ذلك يجمل جمهور القراء ملمين بمبادىء النقد الموضوعي، وتعليم هذا الجمهور أن يوجه التفاته ـ ان لم يستطع التفكير لنفسه ـ لا الى لغة الكاتب قبل

---

(١) يقابل ذلك حركة أخرى أدت في ١٩٢٢ الى انشاء الرابطة الشرقية التي ترمي الى توثيق الصلات بين شعوب آسيا وأفريقيا أمام اعتداء أوربا وقد أصدرت الرابطة منذ ١٩٢٦ صحيفة باسمها يتولى تحريرها احمد شفيق باشا (كذا والصواب الاستاذ علي عبد الرازق) وهي من صحف التجديد .

(٢) قال الدكتور هيكل في السياسة الاسبوعية في عدد ٢٣ يوليه ١٩٢٧ :

« قد اتسعت المدارك ودقت درجات الشعور وأصبحت ترى بين الميل لشخص ومحبته، وبين العطف على شخص والاشفاق عليه، وبين النفور والكراهية، وبين الخجل والخوف، وبين التردد والجبن ، درجات متميزة من الاحساس عن كل منها تعبيرا يحددها لك تمام التحديد ، ثم ترى نفسك مطالبا بأداء ذلك في اللغة التي تكتب بها ـــ وهي اللغة العربية ـــ فتشعر بالعجز وترى ، بعد طول الجهد وكثرة الكلام، أنك قلت شيئا عاديا وأن أحسن ما في نفسك بقي فيها مختفيا » .

(والعبارة الاخيرة مقتبسة من قاسم أمين)

الدبلوماسية في الاسلام

كيف حاولت مصر انقاذ الاندلس

سفارة مصرية الى البابا وملوك النصرانية

— ٢ —

للاستاذ محمد عبد الله عنان

هكذا يصف ابن اياس سفارة الاندلس الى بلاط القاهرة . ولكن في روايته مايدعو الى التأمل ، فهو يؤرخ مقدم سفير الاندلس بذي القعدة سنة ٨٩٢ هـ (نوفمبر سنة ١٤٨٧ م) . ويقول ان صاحب الاندلس أوفده في طلب النجدة من سلطان مصر ، لأن الفرنج أشرفوا على أخذ غرناطة وهو في المحاصرة معهم . ولكن سياق حوادث الاندلس في ذلك الحين يناقض رواية ابن اياس ، فالمعروف أن حصار النصارى الاخير لغرناطة لم يبدأ إلا في مارس سنة ١٤٩١ الموافق لجمادى الثاني سنة ٨٩٦ هـ ، فالامر لم يكن متعلقا اذاً بانقاذ غرناطة . وقد قدمنا أن الحرب الأهلية في الأندلس شطرت في ذلك الحين مملكة غرناطة الى شطرين : أحدهما غرناطة وبعض أعمالها ويحكمها أبو عبد الله محمد، ووادي آش وأعمالها ومالقة ويحكمها عمه الزغل، وقد كان أبو عبد الله محمد يومئذ وثيق الصلات بفرديناند وايزابيلا ملكي النصارى ، وكان السلام معقودا بينهما . بل كان أبو عبد الله محمد يظاهر النصارى على قتال عمه الزغل . وكانت غرناطة تعيش في نوع من الأمن والطمأنينة في ظل هذه المحالفة الغادرة . وكانت جيوش فرديناند وايزابيلا تتدفق يومئذ على أراضي الزغل لأنه كان يسيطر على الثغور الجنوبية وبالأخص على مالقة . وكان النصارى يخشون بقاء هذه الثغور في يد المسلمين ، لأنها كانت مهبط النجدات والمؤن التي ترد من افريقية لغوث المسلمين بين آونة واخرى ، لهذا نشط النصارى الى افتتاح مالقة أولا ، وطوقها فرديناند بجيوشه في ابريل سنة ١٤٨٧ (ربيع الثاني سنة ٨٩٢ هـ) . ولم يستطع الزغل انجادها بنفسه ، لانه كان يخشى غدر ابن أخيه ، فبعث اليها ما استطاع من جنده . ولكن مالقة سقطت رغم دفاعها المجيد في يد النصارى في أغسطس سنة ١٤٨٧ (شعبان سنة ٨٩٢ هـ) واذاً فمنطق الحوادث يدل بأن المقصود بالانقاذ والانجاد من سفارة الاندلس الى مصر انما كانت مالقة لا غرناطة ، لأن حصار مالقة بدأ في ربيع الثاني سنة ٨٩٢ ، ووصلت سفارة الاندلس الى مصر في ذي القعدة من نفس العام، فاذا قدرنا بعد المسافة وبطء المواصلات يومئذ كان لنا أن نستنتج أن سفير الاندلس غادر المياه الاسبانية قبل أن تسقط مالقة في رجب أو في شعبان ، ولكنه لم يصل الى مصر الا بعد سقوطها. أما صاحب هذه السفارة فلا ريب انه الزغل بطل الاندلس والمدافع عنها يومئذ والمشفق على دولة المسلمين فيها من السقوط ، وأما صاحب غرناطة ، وهو ابن أخيه ابو عبد الله محمد ، فقد كان كما رأينا حليف النصارى يومئذ .

فرواية ابن اياس عن هذا القسم من سفارة الاندلس تنقصها الدقة . ولكن مايخصه للقرار الذي اتخذه سلطان مصر في شأنها بالعكس دقيق نوعا يدل بصدق تحريه ووقوفه على مجرى سياسة البلاط القاهري يومئذ .

والظاهر أن حوادث الاندلس كانت قد أحدثت صداها في بلاط مصر قبل أن ترد اليه هذه السفارة الرسمية وان فكرة كانت تتردد فيه يومئذ للسعي الى انجاد الاندلس بطريقة فعالة . والمصادر الاسلامية لاتشير الى فكرة أو سياسة معينة اعتزمتها مصر في هذا السبيل قبل أن توفد سفارتها الى الغرب . ولكن بعض المصادر الافرنجية تقول إن الشرق كله اهتز لحوادث الاندلس وسقوط قواعدها السريع في يد النصارى ، وأن بايزيد الثاني سلطان الترك ، والاشرف قايتباي سلطان مصر، تهادنا مؤقتاً رغم ما كان بينهما من خصومات مضطرمة وحروب دموية ، وعقدا محالفة لانجاد الاندلس وانقاذ دولة الاسلام فيها، ووضعا لذلك خطة مشتركة خلاصتها أن يرسل بايزيد الثاني أسطولا قويا لغزو صقلية التي كانت يومئذ من أملاك اسبانيا ليشغل بذلك اهتمام فرديناند وايزابيلا ، وأن تبعث سريات كبيرة من الجند من مصر وإفريقية تجوز الى الاندلس من مضيق طارق لتنجد جيوشها وقواعدها . غير أن انفصام علائق مصر وتركيا يومئذ كان أبعد من أن يسمح بعقد مثل هذا التحالف بينهما . وكل مايمكن قوله في هذا الشأن ، هو ان فكرة انجاد الاندلس لقيت في بلاطي القاهرة والقسطنطينية نفس العطف ، وان كانا ، كما قدمنا، لم يتفاهما في ذلك على خطة موحدة .

ومهما يكن من موقف مصر وتركيا يومئذ إزاء حوادث الاندلس، فان مصر هي التي انفردت بتلبية لنداء الاندلس ، والسعي الى انقاذها . ولم تكن أحوال مصر يومئذ مما يسمح لها بارسال الجيوش أو غيرها من المساعدات المادية الى ميدان حرب ناء كالاندلس ، فقد كانت من جهة تخشى غزو الترك ، وكانت بعض الثورات المحلية تستغرق اهتمامها ونشاطها . ولكن مصر لجأت الى طريق الدبلوماسية والمؤثرات الخارجية، وعادت بذلك الى مهمتها التاريخية في توجيه الدبلوماسية الاسلامية . وسلك بلاط القاهرة في ذلك خطة تدل بذكائه وحزمه ، وتدل بالاخص بوقوفه على مجرى الشؤون الخارجية وتطور العلائق الدولية في هذا العصر .

ذلك أن سلطان مصر، الملك الاشرف أجاب على سفارة الاندلس بتوجيه سفارة مصرية الى البابا وملوك النصرانية . ولكنه لم يعهد بها الى أمراء مسلمين وانما عهد بها الى نفر من رعاياه

[illegible] أحدهما القس أنطونيو ميلان، [illegible] القسيس فرنسيس في بيت المقدس ، [illegible] بكتب الى البابا [illegible] والى الملك نابولى فرديناند الاول [illegible] وايزابيلا ملكي قشتالة وارجون [illegible] الكتب يعاتب [illegible] ان مصر [illegible] المسلمين في مملكة غرناطة [illegible] الاعتداء عليهم وغزو أراضيهم وسلب [illegible] أموالهم [illegible] رعاياه النصارى [illegible] مصر وفي بيت المقدس ، ولم [illegible] يتمتعون بجميع الحريات والمأمونات [illegible] على أنفسهم وعقائدهم وأملاكهم . ولهذا يطلب الى ملكي قشتالة وأراجون [illegible] عن هذا الاعتداء والرحيل عن أراضي [illegible] وعدم التعرض اليهم ورد ما أخذ منهم ، ويطلب الى البابا وملك نابولى أن [illegible] لدى ملكي قشتالة ليردعا عما يدبرانه [illegible] لايذاء المسلمين [illegible] الا فان سلطان مصر يضطر ازاء هذا العدوان [illegible] نحو رعاياه النصارى سياسة التنكيل [illegible] ويبطش بكبار الاحبار في بيت [illegible] ويمنع دخول النصارى كافة الى الاراضي [illegible] بل ويهدم قبر المسيح ذاته وكل الاديرة [illegible] والآثار النصرانية المقدسة (١)

وغادر القس أنطونيو ميلان وزميله الديار [illegible] لتأدية سفارة مصر الى الغرب، والاسلام [illegible] النصرانية . وكان أمر هذه السفارة وما [illegible] من انذار التنكيل بالنصارى ، قد ذاع [illegible] فلسطين بين الاحبار والنصارى ، فاحتشد [illegible] لوداع السفيرين يوم رحيلهما من بيت [illegible] ، وقلوبهم تفيض جزعا من المستقبل . ولسنا نعرف موعد هذا الرحيل بالضبط ، ولكن السفيرين وصلا الى اسبانيا في خريف ١٤٨٩م أعنى بنحو عام ونصف عام من وصول سفارة الاندلس الى القاهرة . وكانت مالقة قد سقطت في يد النصارى منذ عامين ، واستولوا على طائفة اخرى من الحصون والقواعد ، ثم [illegible] بعد ذلك الى بسطة (بازة) ، وضرب فرديناند الحصار حولها منذ الربيع . وعند [illegible] ببسطة ، وصل القس أنطونيو ميلان [illegible] معسكر النصارى في أواخر سنة ١٤٨٩ (٨٩٤هـ) فاستقبلهما فرديناند بحفاوة وترحاب [illegible] كتاب السلطان ، واستمع الى رسالتهما [illegible] وكان السفيران قد عرجا في طريقهما على [illegible] أولا ، وقدما كتب السلطان الى البابا [illegible] الثامن ، والى ملك نابولى ، فكتب [illegible] الى فرديناند وايزابيلا يسألهما عما يجيب به [illegible] مطالب السلطان ووعيده ، وكتب ملك [illegible] (فرديناند الاول) اليهما يستفهم عن سير [illegible] [illegible] حتى لايتعرض نصارى [illegible] لانتقام السلطان . ويرجو تدخل [illegible] على هذا النحو الى خلاف بينه وبين [illegible] على حقوق العرش النابولى ، [illegible] أن يرد فرديناند الى محاربته [illegible]

[illegible] بقاء الاندلس وانتهت خلافه من ناحية المسلمين . ثم زار القسان ايطاليا حيث [illegible] مفاوضاتهما [illegible] والترحاب .

وأظهر فرديناند وايزابيلا لمطالب السلطان [illegible] في وقت كانت فيه [illegible] الاسلامية [illegible] ولكنهما رأيا مع ذلك اجابة السلطان ، فكتبا اليه في أدب ومجاملة انهما لم يفرقا في معاملتهما رعاياهما بين المسلمين والنصارى ، ولكنهما لا يستطيعان صبرا على ترك أرض الآباء والاجداد في يد الاجانب ، وان المسلمين اذا شاءوا حياة في ظل حكمهما راضين خاضعين ، فانهم يلقون منهما نفس ما يلقاه المسلمون الآخرون من الرعاية . وبذا ارتد القسان الى المشرق يحملان جواب الملكين الى السلطان وقد تقاتهما الصلات والتحف .

ولسنا نعرف ماذا كان مصير هذه الرسالة ، ولكنا نرجح أنها وصلت الى بلاط القاهرة (١) وان كنا لا نلمس لها أثرا في حوادث مصر في هذا العصر ، فليس في تصرفات حكومة مصر يومئذ ما يدل على ان السلطان نفذ وعيده باتخاذ اجراءات معينة ضد النصارى أو الآثار النصرانية المقدسة . والواقع أن بلاط القاهرة كان يشغل عندئذ بحركات بايزيد الثاني وصد غاراته المتكررة على حدود مصر الشمالية . ولم يك ثمة مجال للعناية بالمسائل الخارجية، وكان الاضطراب من جهة أخرى يسود شؤون مصر الداخلية، ولهذا نعتقد أن محاولة مصر انقاذ الاندلس وقفت عند هذا الحد ، وأنها لم تكن تعدى قيام مصر بمظاهرة دولية تقوم على استغلال المؤثرات الدينية . وهكذا تركت الاندلس لمصيرها . ومضى فرديناند وايزابيلا في متابعة الغزو والفتح حتى ظفرا بالاستيلاء على غرناطة آخر قواعد الاندلس في ديسمبر سنة ١٤٩١ (صفر سنة ٨٩٧ هـ) . وانتهت بذلك دولة الاسلام في اسبانيا .

ويشير ابن اياس الى نبأ سقوط غرناطة غير مرة . وروايته في ذلك مضطربة متكررة . فهو أولا في حوادث ذي القعدة سنة ٨٩٥ وثانيا في حوادث شعبان سنة ٨٩٧ وثالثا في حوادث صفر سنة ٩٠٦ يكرر نفس الرواية ويقول في كل منها: إن الاخبار وردت بسقوط غرناطة في يد الفرنج . هذا ولما كانت غرناطة قد سقطت في صفر سنة ٨٩٧ ، فان روايته الثانية هي الرواية الصحيحة . وأما الأولى فسابقة لأوانها . وأما الثالثة ، أعنى رواية صفر سنة ٩٠٦ ، فان ابن إياس لم يوردها عبثا وان كانت تتعلق في الحقيقة بواقعة أو مناسبة أخرى . ذلك أن فرديناند الخامس لم ييأس ووعيد السلطان بالتنكيل بالنصارى ولم يقنع بالجواب الذي وجهه اليه ، على يد

[illegible] غرناطة وتم [illegible] الدين والأرض الاسلامية ، ورأى فرديناند أن يسعى الى اقناع [illegible] مصر بما يلقاه مسلمو الاندلس من الرعاية والرفق [illegible] ، فأوفد الى بلاط القاهرة سفارة جديدة [illegible] سفيره الى السلطان بيترو مارتيري [illegible] أعلام الكتاب والمؤرخين [illegible] ذلك العصر ، فأدى مارتيري سفارته بكياسة وبراعة وقدم الى السلطان شهادات من حكام الجزائر تفيد أن كل المسلمين الذين آثروا الهجرة قد نقلوا سالمين الى الجزائر وأحسنت معاملتهم ، واستطاع بذلاقته أن يقنع السلطان بأن يبقى الحاج النصارى من [illegible] المفروض .

وقد ترك لنا بيترو مارتيري كتابا عن زيارته لمصر ، وفيه أنها وقعت في سنة ١٥٠١ . اذا فان لاشارة ابن اياس الى سقوط غرناطة في حوادث صفر سنة ٩٠٦ هـ أعنى بعد وقوع هذا الحادث بتسعة أعوام مناسبة ، فاما تكون زيارة مارتيري لبلاط القاهرة ، لان أوائل سنة ٩٠٦ هـ توافق أواسط سنة ١٥٠١م . وقد تولى عرش مصر بعد السلطان الاشرف ، ولده الناصر أولا ، ثم الملك الظاهر ، ثم الملك الاشرف جان بلاط ، وهو الذي كان يجلس على عرش مصر يوم قدوم بيترو مارتيري . وكانت سياسة مصر الخارجية تتغير بتغير السلاطين في هذا العصر الفياض بالثورات والخطوب ، وكان صدى حوادث الاندلس قد خفت منذ سقوطها الاخير ، فليس غريبا أن تنتهي سفارة فرديناند الخامس الى بلاط القاهرة بالاقناع والتوفيق على نحو ما قدمنا .

* * *

وهكذا كانت خاتمة المحاولة التي بذلتها مصر لانقاذ الاندلس . وهي محاولة شهيرة في علائق الشرق والغرب ، والاسلام والنصرانية . وفي قيام مصر بها على النحو الذي قامت به ما يدل على فهم حق لروح الدبلوماسية في ذلك العصر ، وعلى علم مستنير بسير العلائق الدولية . فقد رأى بلاط القاهرة في سيطرة مصر على أرواح الملايين من النصارى وعلى قبر المسيح وباقي الآثار النصرانية المقدسة ، عاملا قويا للتأثير في خطط اسبانيا النصرانية ازاء الاندلس ، وهي خطط كانت تصطبغ بالصبغة الصليبية ، ولم يخف على بلاط القاهرة ما كان لرومة يومئذ من النفوذ لدى الامم النصرانية وخصوصا لدى اسبانيا التي كانت عندئذ تتصل بالكنيسة الرومانية بأوثق الصلات ، ولهذا رأى بلاط القاهرة أن يحاول استغلال هذا النفوذ بتهديد البابا بما يصيب القبر المقدس والنصارى في أراضي مصر من شر وبطش ، وحمله بذلك على التدخل لوقف حرب الاندلس . كذلك تدل رسالة السلطان الى ملك نابولى على المام بلاط القاهرة بما كان يضطرم يومئذ من الخصومات بين نابولى واسبانيا ، ورغبتها على نوع من التحريض لملك نابولى أن ينتهز فرصة اشتغال اسبانيا بمحاربة الاندلس فيغزو صقلية وهي يومئذ من أملاك اسبانيا . وأخيرا نرى في اختيار السلطان لسفرائه من بين رعاياه النصارى والاخص من بين رجال [illegible]

اجتهادات دولية [illegible] لم تحدث أثرا [illegible] المنشود ، لان أحوال مصر الداخلية [illegible] تنفيذ [illegible] الذي أنذر سلطان مصر بانزاله نحو الآثار النصرانية المقدسة ونحو رعاياه النصارى ، ولان سياسة مصر الخارجية لم تكن تقوم يومئذ ، كما كانت أيام الحروب الصليبية ، على مبادئ وخطط موحدة ، بل كانت تتغير بتغير السلاطين . وكان تعاقب السلاطين [illegible] على عرش مصر سريعا مضطربا . وهكذا فقدت آخر محاولة قامت بها مصر الاسلامية لتوجيه الدبلوماسية الاسلامية نحو النصرانية انقاذا لدولة الاسلام في الاندلس ، وشاء القدر أن تكون آخر محاولة من نوعها تقوم بها مصر الاسلامية المستقلة أيام سؤددها ومجدها (١) .

محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع)

---

(١) قد يكون في اشارة ابن اياس في روايته عن سفارة مصر ما يدل على ذلك ، وهو قوله في نهاية كلامه عن محاولة السلطان « فلم يفد ذلك شيئا وملك الفرنج مدينة غرناطة [illegible]

(١) أدق رواية ابن اياس عن كيفية [illegible]

(١) مما رجعت اليه في كتابة هذا الفصل : نفح الطيب للمقري ، وتاريخ مصر لابن إياس ، وتاريخ فرديناند وايزابيلا لبرسكوت ، وتاريخ فتح غرناطة لواشنطون ارفنج ، وتاريخ دولة المسلمين في اسبانيا لدوزي ، وتاريخ الموريسكيين للدكتور لي .

تطور النظام النيابي

— ٣ —

جواب المسيو تشارل بورجو

الاستاذ بجامعة جنيف

لابد لكل من يحاول معالجة هذا الموضوع من هذه الملاحظة التمهيدية وهي أن الصفة المميزة لكل نظام نيابي تتوقف الى حد بعيد على قانون الانتخاب. فلبريطانيا العظمى التي تعتبر مهد البرلمانات في العالم «مجلس للعموم» هو نتيجة مايعرف في فرنسا «بانتخاب الدوائر» ومن مقتضاه أن يتداول السلطة البرلمانية في ذلك المجلس حزبان يتولى احدهما تأييد الحكم والآخر المعارضة. ولفرنسا مجلس نواب يقوم منذ منتصف القرن التاسع عشر الى هذا اليوم على نظام انتخابي يستند الى نوعين من الانتخاب، يعرف احدهما «بانتخاب الدوائر» والآخر بانتخاب الكشوف أو القوائم. يعمل بهما بالتناوب مع اجراء الاقتراع بين المرشحين الذين لاينالون أغلبية الاصوات المطلقة. ونتيجة هذه البدعة التي لم يقدرها أصحابها حق قدرها هي أن الاغلبية البرلمانية التي تنشأ من تلك الانتخابات هي بالضرورة نتيجة مناورات الاحزاب السياسية. ومع أن فرنسا قد اقتبست نظامها النيابي من انجلترا فان إدخالها مثل هذه الاجراءات على قانونها الانتخابي قد جعل البرلمان الفرنسوي والنظام البرلماني الفرنسوي، يختلفان عما سواهما.

وهذا يدلك على أن الحكومات النيابية ليست جميعها واحدة بل متعددة. وليس من الممكن درس مميزاتها ودرس أمثلتها الابعد الاطلاع على البحث الذي ينطوي عليه تقرير الاستاذ هوراس ميكلي. وليس يكفي درس ذلك البحث بمجرد الاطلاع على نصوصه فقط بل يجب الخوض فيه على نور الاختبار. وبما أن المهم هو الوقوف على عمل النظم الانتخابية فان المعلومات المأثورة انما يمكن الحصول عليها بمقابلة نتائج البحث في البلاد المختلفة. فاذا أريد الحصول على نتائج عملية فلابد من الاكثار من الامثلة وتطبيقها على النظم النيابية المختلفة.

***

إن النظام النيابي المعمول به في جميع بلاد أوربا يقوم على هذا المبدأ وهو أن تنوب هيئة تشريعية مؤلفة من مجلس أو مجلسين عن أمة ذات سيادة. وفي معظم الدساتير المكتوبة التي تقوم على هذا المبدأ الاساسي — كالدساتير الفرنسوية لعهد الثورة — نجد أن كل نائب من هيئة النواب يصبح منذ انتخابه نائباً عن الامة كلها، وعليه فلايمكن أن تعهد اليه وكالة معينة.

على ان هذه الاعتبارات تلاشت من الدستور الفرنسوي لعهد قنصلية بونابرت كما تلاشت من دستور أمبراطورية نبوليون، لان نبوليون كان يعتبر نفسه الممثل الوحيد للامة. ولم تظهر تلك الاعتبارات في الدساتير الفرنسوية بعد اعادة الملكية ولا في أيام لويس فيليب، ولكننا نجدها ظاهرة في الدستور البلجيكي لسنة ١٨٤٨ الذي أصبح فيما بعد دستور المملكة الايطاليا، وفي دستور الجمهورية الفرنسوية لسنة ١٨٤٨ وفي القوانين النمسوية المتنوعة الخاصة بذلك العصر عينه، وفي دستور سنة ١٨٥٠ الاساسي الذي اقتبس عنه دستور المانيا الشمالية ودستور الامبراطورية التي أنشأها بسمارك وفي القانون الاساسي لمجلس نواب الجمهورية الفرنسوية الثالثة وفي نصوص معظم دساتير الدول الاوربية لهذا العصر ومن جملتها دستور دولة الريخ الالمانية الذي وضعته الجمعية الوطنية في فيمار في سنة ١٩١٩ ودستور بولندا النمسوي لسنة ١٩٢٥ ودستور مملكة السرب والكرواتيين والسلوفاك لسنة ١٩٢١ ودستور جمهورية بولونيا لسنة ١٩٢١.

أما النظام الفرنسوي الذي عم فيما بعد أوربا كلها فقد نشأ كما لا يخفى في سنة ١٧٨٩ عن تحول «الولايات المتحدة» للمملكة الى مجلس واحد.

أما السجلات التي أعطاها الناخبون للنواب المنتخبين (بفتح الخاء عن الثلاث الطبقات التي كانت تتألف منها الامة فكانت عبارة عن توكيلات خاصة اعتبرت فيما بعد كأنها لم تكن، اذ اعتبر كل نائب كأنه يمثل الامة الفرنسوية كلها. وهذا هو المعنى الذي انطوى عليه جواب ميرابو خطيب الثورة الفرنسوية المشهور يوم قال لرئيس أمناء لويس السادس عشر — وكان هذا قد ذهب يطلب من نواب الطبقة الثالثة المجتمعين في قاعة العرش على الرغم من الملك أن ينصرفوا «اذهب وقل للذين أرسلوك اننا مجتمعون هنا بارادة الشعب».

وقد رن صدى هذه العبارة في جميع أنحاء العالم، الا أن الامبراطور فريدريك وليم الرابع الذي كتب تلك العبارة على الرغم منه في دستور بروسيا لسنة ١٨٥٠ لم يحترم ذلك المبدأ كما كان رعاياه ينتظرون. ولما أصبحت المادة ٨٣ من دستور بروسيا هي المادة ٢٩ من دستور ألمانيا الشمالية والدستور الامبراطوري لسنة ١٨٧١ أعلن رجال القانون هنالك أن هذا النص ليس له المعنى الذي كان يمكن ان يكون له في القانون العام وأن أعضاء مجلس الريشستاغ لا يمثلون أحداً من الوجه القضائي.

فهذا الانكار لما ترمي اليه مادة تعتبر أساساً للدساتير الحديثة هو قائم على أساس ثابت فيما يتعلق بأوجه الشبه بين مبدأ الوكالة في القانون المدني والوكالة في النظام النيابي وما قد يمكن من تطبيق أحد المدلولين على الآخر، وهو يختلف باعتبار شخصية الامة التي يحددها الدستور والتي هي من مقتضيات النظام السياسي. وليس تأثيره في دول القارة الاوربية بأقل، وذلك بتثبيتها للنظريات الالمانية من المقام وهي ملعقة موجهة الى النظام النيابي.

المشرعين يتفقون مع الاستاذ جوزيف بارتيلمي والاستاذ بول دوز على أن القيام بالحكومة النيابية ليس مشكلة شكل قضائي بل مشكلة فن سياسي. وفي الحل الذي يرمي اليه أولئك العلماء لا تستهويهم نتائج المبادئ التي قد وضعوها للقانون. وهذا دليل حكمة، إذ من الواضح أن السعي لاثبات أن شخصية الأمم ليست سوى وهم ليس هو الوسيلة لاثبات شرعية الديمقراطية للأمم. واذا نظرنا الى الدول الحديثة التي قد انتقلت من مجموعة دول متآلفة الى دولة اتحادية (كالولايات المتحدة وسويسرا مثلا) نرى أن فكرة الشخصية القضائية التي يرمز بها الى الشعب الأمريكي أو الشعب السويسري هي ضرورية لوجود النظام الاتحادية ولحسن سيرها. ومن الصعب جداً أن نثبت للشعب الأمريكي أن دستوره الذي يبدأ بهذا النص وهو: «نحن شعب الولايات المتحدة.» الذي قد اقتبس مراراً هو من عمل شخص يقوم وجوده على فرض بسيط. وقد يتفق في القانون الأساسي (الدستوري) أن طريقة من الطرق القضائية المحضة تؤدي الى نتائج ينكرها التاريخ ولا بد هنا من احترام حكم التاريخ. واذا كان القانون في هذه الأيام ينظر الى أسس الدولة نظرة تختلف عن النظرة التي كانت لرجال الثورة الفرنسوية فان ذلك لا ينقص من قيمة الحقيقة القائلة بأن الدساتير التي سنتها الشعوب لأنفسها أو التي قد وضعت باسم تلك الشعوب طبقاً للسوابق التاريخية الامريكية والفرنسوية لا تزال معمولا بها، ومن العبث محاولة حل مشكلة النظام النيابي وتطبيقه على مقتضيات الزمن الحاضر بمجرد اهمال تلك الدساتير.

وفي القرن التاسع عشر صدم نظام سنة ١٧٨٩ النيابي صدمة أشد ليس من جانب أصحاب النظريات التشريعية بل من جانب أرباب السياسة. فقد أصبح للنصيب الذي تقوم به الاحزاب في الهيئات التشريعية وفي سير اعمالها شأن عظيم، حتى ان الاحزاب صارت تصدر خارج المجالس التشريعية القرارات التي من شأن هذه المجالس أن تصدرها باسم البلاد. ولا يخفى أن بدء عصر النظام الانتخابي ونظام اجتماعات الأحزاب لوضع قوائم المرشحين الذي نشأ في أميركا (ويعرف عند الاميركيين بنظام «السكوكتر») ظهر في أوربا على أثر الاصلاح البرلماني الانجليزي وتعميم حق الانتخاب لطبقات الشعب. فأصبح المرشح للانتخابات تقدمه هيئة حزبه للناخبين خيفة أن يفشل لو تقدم من تلقاء نفسه. وكان يطلب منه توقيع برنامج أو برامج معينة، ولذلك كان المرشحون مضطرين للخضوع لتلك البرامج.

وفي التاريخ أن بواسي دانجلا الذي كان نائباً عن مقاطعة أنوناي الفرنسوية في فرساي في أيام الثورة صرح لمنتخبيه أنه كان اذا اختلف في الرأي مع أعضاء المجلس رضي ضميره وخضع لشروط النيابة في وقت واحد بتغيبه عن المجلس فلا يشترك في المناقشات ولا في الاقتراع. على أن الاستاذ كوتسكي لايجيز مثل هذا المسلك، اذ يقول أن النائب في هيئة ديمقراطية ليس رسولا مطلق التصرف بل هو وكيل عن حزبه، ووجب عليه أن ينسحب من الوكالة. وقد جرت أوستراليا على هذا المبدأ الذي قرره حزب العمال لمعاملة كل من يخرج عليه من أعضائه. وأدى هذا النظام هنالك الى نشوء تشريع خاص من مقتضاه أن مداولات الحزب تجري في مركز كل حزب في جلسات سرية حيث تؤخذ الاصوات (أي حيث يجري الاقتراع) على كل مسألة مقدماً.

وفي هذا مافيه من اخضاع المجالس البرلمانية لسلطة الهيئات الحزبية التي تنشأ تلك المجالس بمقتضى جهودها وتدخلها. وهذا الاخضاع يزداد جلاء في البلاد التي ليس لها ما يقي أنظمتها التي تجنح الى الديمقراطية والتي قد نصت رسمياً على وجوب وجود الأحزاب إما بمواد خاصة، مدرجة في دستورها أو بقوانين انتخابية خاصة وغرضها من ذلك تحقيق مبدأ التمثيل النسبي، واذ تسمح لجان الاحزاب هيئات حكومية تشرع في درس جميع شؤون الدولة وتلزم الحكومة بقراراتها بحيث تقع مسئولية تلك القرارات السياسية على عاتق الذين وضعوها، وذلك في الحكومات التي تكون فيها السلطة التنفيذية للنظام البرلماني.

وتنحصر مهمة الاحزاب في الحكومات الديمقراطية في تكوين الرأي على وجه جلي محسوس، وفي وضع الحلول المختلفة وادارة الحرب الانتخابية فهي بهذا الاعتبار تقوم بوظيفة عمومية بحيث ليس ثمة مانع يحول دون الاعتراف بها رسمياً. ولكن ليس معنى هذا أنه يجب أن تضمن لها جميع مزايا التمثيل النسبي من دون مطالبتها بضمان استخدامها لتلك المزايا في سبيل مصلحة الدولة فقط وبأنها تعتبر تلك المزايا واسطة لا غاية.

وقد طرأ على النظام الاجتماعي الحديث انقلاب يختلف عن الانقلاب الذي أحدثته ثورات القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر، وهذا الانقلاب هو نتيجة لنظام النقابات (سنديكالزم) فقد عقب عصر «الجماعات الحرة والمتعادلة» عصر مزيج الطبقات الاجتماعية التي يربطها معاً مبدأ توزيع العمل. وفي الواقع أن ظهور النقابات التجارية ونقابات الحرف قد كان بدء عهد جديد في حياة الدولة في هذا العصر. ومهمة الدولة الاقتصادية تظهر كل يوم بجلاء أتم وتزداد وضوحا. وهذا يثير المسألة الآتية وهي: هل يجب الاعتراف بوجوب تمثيل الحرف والمهن والصناعات في المجالس النيابية؟

وقد ردت إحدى دول أوربا الكبرى على هذا السؤال رداً صريحاً بأن قضت بجعل نظام النقابات الرسمية أساساً — بل الاساس الوحيد — لمبدأ التمثيل البرلماني. فقد قضت إيطاليا بأن يحل برلمان المهن والصناعات محل البرلمان المنتخب بالاقتراع العام. وهذا انقلاب عظيم في مبادئ النظم النيابية بل هو ثورة لايمكن التكهن بعواقبها في الوقت الحاضر.

أما في ألمانيا فان مجلس الريخ الاساسي اتخذ قراراً يحقق رغبات الذين كانوا يطالبون بتمثيل المهن والصناعات في المجلس، وذلك من دون اخلال بمبدأ سلطة الامة. فقد قضي بانشاء مجلس الريخ لنقابات المهن والصناعات ويعاون بدعوة مجلس الى رشد الحكومة في مسائل التشريع الخاص بالمهن والصناعات. وفي وسع هذا المجلس أن يحمل مجلس الريشستاغ على تأييد قراراته بواسطة مساعي اعضائه.

وحذت حكومة الجمهورية الفرنسوية حذو الحكومة الالمانية، فأنشأت في شهر يناير سنة ١٩٢٥ مجلساً اقتصادياً وطنياً يعين اعضاؤه من ابناء نقابات المهن والصناعات، وهذا المجلس هو بمنزلة لجنة استشارية.

وسارت دولة ارلندا الحرة على نظام آخر لحل المشكلة فقضت بأن يكون في أحد مجلسي البرلمان الوطني نواب يمثلون المصالح والصناعات التي هي ذات شأن كبير.

فنرى مما تقدم أن النظام النيابي في عصرنا هذا يختلف عن مبدأ النظام الذي ابتكره أولئك الذين سجلوه في دساتيرنا المكتوبة. ويرى فريق من الناس في هذا الانقلاب حادثا سياسيا مهما حالة أن فريقا آخر منهم يتشاءمون منه ويرون من خلاله ان النظام النيابي يجتاز اليوم دوراً عصيباً. بل ان منهم من ينتقدون الديمقراطية ويلومونها. قال اللورد جيمس برايس في كتابه «الديمقراطيات الحديثة» (الصفحة ٦٣٢ من الجزء الثاني) — «ان الديمقراطية الحديثة باتخاذها شكل مجالس نيابية تؤذن بالانحطاط، لان سلطة القوانين الانتخابية وشهرتها قد أخذتا تضعفان في جميع البلاد تقريبا».

ويجدر بنا أن نضيف الى تصريح اللورد برايس هذا — وهو تصريح مبني على درس الديمقراطيات الانجلوسكسونية — تصريحات العلماء الالمان الحديثة، وكثيرون منهم ينتقدون نظام التمثيل النسبي المعمول به في ألمانيا في الوقت الحاضر ويعزون اليه مساوئ كثيرة. وقد قال أحد مشاهيرهم. «إن الشعب قد تنزل عن سلطته وترك مقاليدها في يد الاحزاب المسيطرة اليوم على المجالس البرلمانية».

ومما يجدر بالذكر أن البلاد التي عنيت بالانقلاب الذي طرأ على النظم النيابية أكثر من غيرها هي البلاد التي أدخلت تلك النظم الى القارة الاوربية. وقد تصدى مشترعوها وعلماء القانون فيها لذكر معايب النظام البرلماني واقترحوا طرق معالجتها. ومن جملتهم استاذي وصديقي العالم المسيو لارنود (عميد كلية الحقوق بجامعة باريس) فقد أودع آراءه في المذكرة التي قدمها الى اللجنة البرلمانية الدولية مع [illegible] هذه. واعترف الكثيرون ممن تقدموه — كما اعترف اللورد جيمس برايس في كتابه الذي أشرنا اليه سابقاً — بأن مستوى المجالس النيابية ليس هو اليوم كما كان قديما، وبأن أعظم الناس جدارة يكونون ما [illegible] عن الحياة العمومية (أي خدمة الدولة) وبأن جماهير الذين لهم حق الانتخاب لايهتمون في الانتخابات العمومية اهتماما كافيا مع أن الصفات الادبية للذين يدفعهم مقاليد الحكم بمعاونتهم هي الاساس الجوهري، وليس النظام البرلماني وجود الا بأن تمثل السلطة ارادة الامة.

[illegible] القوم اتقادات اخرى كثيرة للنظام بالاكثر بالنظام السياسي الذي يودون اصلاحه.

ويخيل الينا ان أحسن وسيلة لازالة الانحطاط الذي يشير اليه اللورد برايس في كتابه «الديمقراطيات الحديثة» — وهو الانحطاط الذي لاسبيل الى انكاره — هي جعل النواب أكثر حرية واستقلالا من ناخبيهم. قال كوندورسيه: «انني وكيل الشعب وسأفعل مايتفق مع مصالحه الحقيقية. فالشعب لم يعتمد على غيري فقط بل على ذكائي واستقلالي في الرأي أيضا وأنا مدين باستعمالهما لمصلحته».

وفي الواقع أنه في اليوم الذي يمكن فيه أن يوجه الى الوكيل من أية أمة ذلك الاحترام الذي كان يوجه اليه في عصر كوندورسيه — في ذلك اليوم نجد أحسن أدمغة الشعب تملأ المجالس النيابية. ولا يصح أن يتعذر هذا الامر الا في حالة عدم وجود وسائل تحمل جميع الاحزاب على احترام تلك المواد الدستورية التي تحرم الوكالة الدينية.

ويظهر أنه للتأثير في التاوب المتعارضة يجب أن يكون ثمة سلطة تعمل بصفة حارس للدستور. ومن المحتمل أن يعهد في ذلك الى السلطة القضائية (كما هي الحال في الولايات المتحدة) أو الى المحكمة العليا الخاصة (كما هي الحال في دستور أوستراليا الجديد). وعلى كل فلابد من وجودها وعملها.

وهنالك عامل آخر يصلح لانتاج نتيجة كهذه وهو ايجاد تشريع يحمي أعضاء البرلمان ولاسيما من المطاعن التي قد توجهها اليهم الصحافة. وانها لتضحية عظيمة أن يجازف المرء باسمه في المناضلات الحزبية. والتضحية أعظم عندما يكون المرء قد أنفق حياته في كسب الصيت الحسن في أحد فروع العلوم. وهنا يجدر بنا أن نعتبر باختبار أفريقيا الجنوبية حيث أجيز منذ عهد قريب قانون يدل على الحكمة وبعد النظر، لانه يرغم كل من يريد أن ينشر نداءاً عمومياً على مواطنيه في إبان المعارك الانتخابية أن يوقع ذلك النداء بامضائه ويتحمل مسؤوليته. ولا يكتفى بتوقيع حزبه لذلك النداء.

وهنالك علاج للخطر المعترف به عموما وتمنى به خطر انشاء طائفة من السياسيين المحترفين بسبب ازدياد شؤون الدولة واطراد الدورات البرلمانية في الطول. وهذا العلاج هو تمثيل المصالح الاقتصادية وغيرها بحيث يمكن دعوة الممثلين لتلك المصالح لمعاونة ممثلي الامة في بعض الاحوال. ولا بد أن يؤدي تقسيم العمل الذي هو من مستلزمات اصلاح كهذا الى اطلاق حرية المشترع السياسي وازالة الحمل منه لالقائه على عاتق الخبير الفني. ومما قد يفيد في تلك المسألة الاذاعة باللاسلكية فانها تتيح لأمم المناقشات البرلمانية عن بعد من دون اضطرار الى حضور تلك المناقشات. ولا يخفى انه اذا أصبح في الامكان اعفاء الفرد من حضور جلسات الدورة البرلمانية كلها، أصبح من المحتمل ان يقبل الكثيرون من أصحاب المهن وظيفة النيابة عن الامة بعدان كانوا يرفضونها فراراً من حضور جلسات البرلمان.

وسيعترض الناخبون على استعمال حق الاقتراع (التصويت) بالمكاتبة كما هي الحالة الآن في أوستراليا ونروج أصبح في الامكان الحصول على عدد كبير من المقترعين من دون أي احراج.

وأخيراً اذا ثبت أن من الضروري ارغام الناس على قيامهم بواجباتهم المدنية لم يبق في نظرية الوكالة النيابية ما يناقض السير على النظام المعمول به في القانون البلجيكي أو في قانون مقاطعة زوريخ.

اختبار سويسرا

وقد اقتبست سويسرا الحديثة نظامها الدستورية من الثورة الفرنسوية بواسطة دستور جمهورية هلفيشيا سنة ١٧٩٨. وقد منح ذلك الدستور للبلاد وحدة وديمقراطية نيابية. وكانت المقاطعات تقاوم فكرة الوحدة ولذلك لم يعش المبدأ القائل «بالجمهورية غير المجزأة» أما الديمقراطية فكانت من نظم البلاد الوطنية بخلاف النظام النيابي الذي كان بدعة جديدة في نظر أهل سويسرا. وبقيت ذكرى مبادئ الحرية التي كان ذلك النظام قائماً عليها الى مابعد زوال دستور هلفيشيا. وكانت مصدر وحي لواضعي الدستور المنقح في سنة ١٨٣٠. وسويسرا مدينة الآن لذلك الدستور بالمبدأ الذي أخذته أوربا في القرن الثامن عشر عن انجلترا الجديدة وقررته الثورة الفرنسية وخلاصته ان السلطة تأسيسية هي للامة ولا يمكن استعمالها الا فيما يؤدي الى نشوء الدستور بطريق الاستفتاء العام. وقد استعمل أهالي المقاطعات السويسرية هذه السلطة مراراً منذ سنة ١٨٣٠ فصاعداً كما استعملها أيضاً الشعب السويسري الاتحادي منذ سنة ١٨٤٨ وادت كثرة استعمالها الى أحياء الشعور في الشعب السويسري بانه أمة واحدة ذات سيادة. وفي الواقع ان استعمال تلك السلطة كان بمنزلة برهان عملي يثبت تلك الحقيقة التي جاهر بها روسو والتي وردت في صدر منشور الاستقلال لاميركي، خلاصتها ان أساس سلطة الدولة هو رضى المحكومين. والذين يدركون قيمة هذا المبدأ الاميركي وأهمية اقتباس سويسرا له يأسفون لان سويسرا لم تحذ حذو الولايات المتحدة حتى النهاية بجعل السلطة القضائية حارسة الدستور. وقد اقترح بعض السويسريين في أوقات مختلفة اجراء هذا التعديل. ولكن رجال القانون الذين نشأوا على النظرية الالمانية وقفوا دائما عثرة في سبيل ذلك.

اما مبدأ استشارة الامة القانوني الذي أخذ عن الثورة الفرنسوية فقد اختلط في سويسرا بالنظام التشريعي الالماني القديم الذي احتفظت به الجماعات السياسية في مقاطعات الالب في العصور المتوسطة. وقد تحولت الديمقراطية النيابية تحت نفوذ ذلك المبدأ الى ديمقراطية صرفة أولا في مقاطعة (سان جول) ثم في مقاطعة (فود) ثم في مقاطعة (بال كمبان) واخيراً في مقاطعة زوريخ وذلك في سنة ١٨٦٩ وقويت الميول الى الحكومة المباشرة في مقاطعة زوريخ وأستمدت منها البرنامج وغيرها من المقاطعات الكبرى [illegible]

هذه الانقلابات فكان بقاؤه برهاناً جلياً على صحة قول اللورد برايس أنه ما من دولة ديمقراطية مهما كان حجمها تستطيع الاستغناء عنه.

على ان هذا النظام اتخذ في مقاطعة زوريخ شكلا جديداً فالجمعية المنتخبة التي كانت تسمى قبلا «المجلس الاكبر» ثم «مجلس المقاطعة» عادت تمارس السلطة التشريعية الفعلية بل أصبحت الهيئة الانتخابية في العمل التشريعي: فصارت القوانين تبرم بموافقة الشعب نفسه بعد استشارته مباشرة. ومن هذا نشأ مبدأ استشارة الامة.

وكان هذا المبدأ في زوريخ والمقاطعات التابعة لزوريخ الزاميا يسري على جميع القوانين، ولكنه كان اختياريا في منطقة التشريع الاتحادي وهو يطبق اليوم بطلب ثلاثين الفا من الانفس أو ثماني مقاطعات. وبعبارة اخرى ان الشعب السويسري لايستشار مباشرة الا اذا قام مايدل على ان قانونا معينا من القوانين التي تحت النظر لايعبر عن ارادة الامة الحقيقية. ففي مثل هذه الحالة تستشار الامة لكي توافق على القانون المطلوب او تمنعه، اما في الحالات التي لايلجأ فيها الى الاستشارة فالمفهوم ضمنا ان الامة موافقة.

أما حق وضع القوانين العام فقد اقتبس — كما اقتبس مبدأ استشارة الامة — من المقاطعات الصغرى بسويسرا قديما وطبق على حاجات الشعب. وقد جعل الناخبين في مقاطعة زوريخ حق الاشتراك عمليا في التشريع. فبموجب ذلك الحق يجوز عرض مشروع قانون على الاهالي الموافقة عليه، اما بتقديم اقتراح في هذا الشأن الى مجلس المقاطعة على أن يؤيده ثلث اعضاء المجلس ذلك الاقتراح، او بطلب موقع عليه بخمسة آلاف امضاء. وقد ادخل حق وضع القوانين في دساتير المقاطعات الأخرى. وفي سنة ١٨٧٢ ادمج في مشروع الدستور الاتحادي الذي رفض بالاقتراع العام. وعليه حذف من دستور سنة ١٨٧٤ اذ رئي انه يمس بالحقوق الممتازة للمقاطعات التي كانت تشاطر مجلس الدولة (بتعلم النظر عن حجمها) في التشريع الاتحادي. وفي سنة ١٨٩١ اعيد ذلك الحق فيما يتعلق بممارسة سلطة الامة الدستورية.

وافضى مبدأ الاستشارة في جميع المقاطعات الى التنزل عمليا عن حق الغاء الوكالة الانتخابية الذي أدخل سنة ١٨٥٢ في مقاطعتي آرجو وشافهوزن وسنة ١٨٦٩ في مقاطعات تورجاو وسولور ولوسرن. وبموجب هذا الحق يجوز لعدد معين من الناخبين يختلف من ألف الى اثني عشر الفا في المقاطعات المختلفة أن يعرض مسألة حل مجلس المقاطعة النيابي للاقتراع العام، ولم يدمج هذا النظام فقط في الدستور الاتحادي، والمراد منه حل مشكلة من المشاكل التي قد تلم في ظل النظام النيابي في بلاد لايكون فيها حق حل المجالس المنتخبة في يد سلطة عالية. ومع أن مبدأ استشارة الامة قد قضى على هذا النظام [illegible] دستور المقاطعات [illegible]

في الحجاز

— ٢ —

١ — في جدة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

بحر بايد — هذا هو البحر الاحمر — بايد كالرجل الذى تمابثه اليوم فيبتسم لك غداً. والبايد صحبته متعبة ، ورفقته مشقة ، فان حسن الدكانة ولاتها — كحسن الكرامة — فى تبادلها ، لا أن ينفرد بها جانب أو ينوء بثقلها واحد . وقد ظللنا خمسة أيام نسبح — كالسلحفاة — على ظهر هذا البحر ، وكانت السفن تمرق بجانبنا كالسهم — أو كالأرانب مادمنا نذكر السلاحف ، ونحن نتباطأ ونتلكأ وأحسبنا كنا أيضاً نتراجع — ونداعبه ونمازحه ونلاطفه فى كل موضع ونناجيه ونناشده أن يتنبه ونسأله أن يتسلى ويهدأ ويتحرك ولكن هيهات ! لم يشعر بنا البحر أو لم يحفل بنا ، وأبت له البلادة أن ينتبه لوجودنا الا بعد أن بارحنا يثرب ! بعد ثلاثة أيام شعر بوجودنا فتثاءب ! فانكفأ بعضنا فوق بعض ، وصارت الرؤوس فى مكان الأرجل ، وأفلتت السدادات من الحلوق ، وذهبت الكراسى تتسكع علينا لاتحن علينا ، وانقلب أظهر مافينا وأبرزت أعضائنا ، أقدامنا فى الهواء فانتقمت بذلك من جور الرؤوس عليها وطول انفرادها بالمراكز الملحوظة .

ولم أر أنا شيئاً من هذا ولكنهم حدثوني بما صنع البحر بهم ، فقد كنت نائماً وكان لى أيضاً غطيط طالما غطى صوت البحر على مازعموا ، فجاءنى زميل يقول :

« البحر هائج اليوم »

فانتفضت قائماً وقد فرحت وسرني أن البحر أولانا التفاتاً وجعلت أروح وأجيء بقدر ما أستطيع فى هذا الحجر الضيق الذى يسمونه حجرة النوم وأرفع صوتى بقول ذلك البدوى الساذج :

« البحر صعب المراس جداً
لاجعلت حاجتى اليه !
أليس ماء ، ونحن طين ؟
فما عسى صبرنا عليه ؟
ولكن متى ياصاحبي فانى مازلت فيما أشعر على ظهر اليابسة ؟ »

قال : « ألم تشعر به ؟ »

قلت : « ربما كنت قد حلمت — بل أنا على التحقيق أحلم كل يوم بالبحر هائجاً طاغياً عنيفاً ، ولكن البلاء والداء العياء ياأخى أنى أدرى فى الصباح ما رأيت فى أحلامى » .

فقال : « أوه . هذا كلام فارغ ! لقد كانت الباخرة فى الليل تلعب هكذا (وأخرج قلماً من جيبه وأمسك به من وسطه وجعل يرفع طرفيه على التناوب) فكيف لم تشعر بذلك ؟ ان هذا غير ممكن ! »

[illegible] . اذن فانى نصف بحرى على [illegible]

مادون . ولكنى كنت نائماً مكذا — متمادياً على طول السفينة . فبينما كانت أقدامكم أنتم تنفر فى الهواء ورؤوسكم تهبط الى حيث تستدق ، كنت أنا لا أشعر بأكثر من حركة التنفس ، أو بما هو بسبيله . آه ! لقد تذكرت الآن أنى كنت أحلم بأنى أسبح فى الماء وأخبط فيه بذراعى ، صحيح ، صحيح ! »

فلم يلق صبراً ومضى عنى ، فلبست ثيابى بسرعة وعدوت وراءه وقد تلبست فى نفسى كل غرائز السوء ، فلما صرت على ظهر السفينة — أو ما يسمونه ظهرها وان كان فى جنبه قلبها — خيل لى انى لم أر أبدع من هذا الجو من قبل ، وأن لا عهد لى بمثل هذا التألق فى الشمس والجمال فى البحر ، وأى شىء فى الطبيعة أفتن من منظر الجبال الوسنان ، وأن نازعتنى النفس أن أعرب عن اعجابى بكل هذا الحسن فى السماء والارض — أعنى البحر — فرفعت صوتى أريد أن أغنى ، ولكنى لم أدر ماذا أقول فأقصرت .

وكنت أنظر حولى فأرى رفاقى متشبثين بحديد الحواجز فدنوت من أحدهم وقلت :

« سبحان ربى القادر ! كيف بالله رددت فلا لا تقوى على المشى وحدك ؟ »

قال : « ألا ترى ؟ »

قلت : « ماذا ؟ »

قال : « ماذا ؟ ألا ترى مقدمة السفينة كأنها سهم مسدد الى الشمس فى كبد السماء ! »

قلت : « معذرة ياصاحبى . لست أرى الا أنها يحاول أن يناطس الاسماك ليصطادها لطعامنا ، ليس هذا من البحر ولكنه من الربان . من أين يطعمنا اذا لم يفعل ذلك ؟ »

وهممت بأن أقول كلاماً آخر أثبت به نظريتى ، ولكن زميلا غيره ألقى بنفسه بين ذراعى ، فأكبرت هذه العاطفة منه وتمثلت فى سرى بقول الشاعر :

« أشوقاً ولما يمض لى غير ليلة ؟
فكيف اذا خب المطى بنا عشرا ؟ »

ثم التفت اليه وأنا أدفعه عن صدرى الذى سكن اليه وقلت :

« أسعد الله صباحك ! جو بديع » .

فوضع كفه على معدته وهو يقول : « آه يابطنى ! » وذهب يتخطى .

واشتاقوا جميعاً الى معانقتى وأنا واقف أمام الباب أتلقاهم بين ذراعى مسروراً وأهنئهم وأقول للواحد بعد الآخر :

« هنيئاً مروءة ! انى مقدر عواطفك نحوى ، ولكن لا داعى الى العجلة فان الوقت أمامك طويل فتمتع حتى يأتى تمام قصيدة . [illegible] كما ترى . »

فلما ازدلف ان أنا الى أن أضع كفه على [illegible] ويقول :

ففطر لى أن بهم عضة جوع ، فلما تلقيت آخرهم — وكنت قد فطنت الى هذه الحقيقة — قلت له :

« نهارك سعيد . لقد كنت تريد أن تقول .... »

ولكنه قاطعنى وسبقنى وقال وراحته على معدته : « آه يابطنى ! »

فعرفت أنى مصيب فى احالة مظاهر شعورهم الى شعور الضعيف على الجوع ، على الرغم من تأكيد أحد الزملاء أن البحر هائج وأن موجه « دفن » .

* * *

ولم نحفل لرؤية جدة لما شارفناها ، ذلك أن الساعة كانت الحادية عشرة صباحاً ، والخادم كان يعد المائدة للغداء قبل موعده ، فقابلناه بشرى ، وجلسنا اليها ، وحضر الطعام فلم نبال جدة كيف تبدو ، ولم نكترث لرفقائنا أين رست السفينة منه ، فقد أقبلنا على الصحاف « نأكل مالا يحسب الحاسب » كأنما خفنا ألا نتم فى جدة على طعام ، فرحنا ندخر ما يكفى أياماً ، وجعلنا نلتهم الشابيط (السمك) والفراريج (الدجاج) بلا مضغ مخافة أن يدركنا وقد ستقبل فيشاركنا ، وصح فينا قول ابن الرومى :

« فتاه كالمصرين من دهره
كلاهما فى شأنه دائب
ذى معدة تطلبها لاحس
وتارة أدنها شاغب
تناوله حتى شره نافض
لتسكن حتى هضمه صالب

وصدق فينا المثل العامى « وقت البطون تضيع العقول » . فلما صعد الطبيب الى الباخرة ودخل علينا ادار عينه فينا فلم يرفع أحداً رأسه ، فقال :

« ماشاء الله ! ماشاء الله ! الحمد لله على السلامة ! » .

وكانت الأفواه فى شغل بما فيها فرددنا بأيدينا واستأنفنا العمل ، فقال :

« صحتكم طيبة والحمد لله » .

فازدرد أحدنا ومط عنقه لما صار لابد من الكلام وقال :

« مش بطالة ، نحمد الله على كل حال » .

فقال : « لعل البحر كان هادئاً » .

فلم يسمع سوى صرير الاضراس ، فارتد مسرعاً ، وأكبر الظن أنه أنذر قومه .

« أكل يتامى مالهم كاسب » .

فقد خف الى الباخرة وفد كبير من شيوخ جدة وأعيانها — جاءوا كما أرجح لينظروا بأعينهم كيف نفترس الطعام ونغوص وراء الراسب ونعمل أضراسنا فى الجامد ، وننشب فى الذائب ، ولكنا عجلنا فقبلنا مقدمهم ، وفرغنا من هذا الشأن قبل أن يضعوا رجلا على سلم الباخرة ، فلما صعدوا ألفونا جلوساً الى المائدة ، ولكن المائدة لم يكن عليها شىء ، ولم يكن يبدو علينا أثر من آثار الغارة التى شنها الطبيب وتتبعنا لهم على التحقيق ، فرحبنا لاستقبالهم فى وقار وأبهة وجد تام و [illegible] [illegible]

ولكن هيهات ! فانخدعوا وشكوا فيما رواه الطبيب لهم

وكانت السماء قد جادتهم منها هاضب سحاح ، وأمطرتهم بما لم تمطرهم منذ أربعين عاماً على قولهم ، فقلت : « أعوذ بالله »

فقال أحدهم : « بل حمداً لله وشكراً » .

واستبشروا بنا وتفاءلوا خيراً بقدومنا وأنساهم السرور بالمطر هول ما سمعوا عن كراتنا على الطعام ، وأشرقت وجوههم بعد شحوب وتفتحت نفوسهم لنا بعد أن كاد يثنيها الدكتور عنا بما صورنا لهم . وانحدرنا الى الزوارق البخارية بين عبارات الترحيب والتأهيل الصادقة ، وكان جارى فى الزورق أميراً نجدياً محرماً وفى يمينه بندقية فلم أرتح الى جيرتها وقربها من صدغى فقلت له بجفاء :

« هذا فلان يسلم عليك »

فاضطر أن ينقل البندقية الى يسراه ليصافح صاحبى ولصقت به حتى لا أدع مكاناً تعود اليه اذا فكر فى تحويلها الى حيث كانت .

ولو أن الزورق سار فى خط مستقيم الى « الرصيف » لبلغناه فى ثلاث دقائق ، ولكنه اضطر أن يدور بنا حول الميناء فقطعنا المسافة فى خمس وعشرين دقيقة ، لان مدخل الميناء مكتظ بالصخور والشعاب الحادة التى تقطع الحديد كالسيف . وقد فكرت الحكومة فى اصلاح الميناء فخطر لها على ما علمت أحد أمرين أن تطهرها وتعمقها ، وهذا باهظ التكاليف أو أن تبرز بالميناء فوق الصخور وهذا أيسر وأقل كلفة . وهناك رأى ثالث سمعت به ولا أدرى الى أى حد ينظرون اليه على انه اقتراح جدى ، وهو أن تبنى الى جوار جدة مدينة جديدة على البحر يكون ساحلها أسهل وأخلى من الوعور ، فان انشاء مدينة جديدة أيسر وأقل نفقة وتعباً من اصلاح مدينة قديمة يهدمها شيئاً فشيئاً واقامتها من جديد على مقتضى مطالب العصر فضلا عن اصلاح الميناء وهو وحده مشكل . وكان يستقبلنا على الرصيف قائمقام جدة الشيخ عبدالله رضا الزينلى ولفيف من الاعيان ، وسيأتى الكلام عليه فيما بعد ، فصعدنا الى بناء فيه موظفو الميناء وجلس معنا فى الشرفة الى أن قرب الزورق الثانى فاعتذر وخف الى استقباله . وتركنا مع المستر فيلبى وحقى أفندى سكرتير القنصلية المصرية وفريق من الاعيان ، ولم يكن لهم جميعاً حديث الا هذا المطر العجيب الذى سبقنا ، وكانت تحيتهم لنا « جيتم بالغيث » . ولهم العذر فان بلادهم صحراء جرداء ليس فيها نهر أو جدول واحد ، واعتمادهم فى معايشهم على المطر والآبار ، فأما المطر فلا سلطان لهم عليه ، وأمره بيد الله ، وأما الآبار فقد كان عددها كبيراً وكانت العناية بها شديدة ، ولكن الاتراك لما اضطروا الى الانسحاب من بلادهم فى ابان الحرب العظمى ، خربوا أكثرها حتى خفيت معالم عدد ليس بالقليل منها ، وعلى أن الآبار مهما كثرت لاتسد حاجات البلاد ، لانها تجف وتنضب ، ومن هنا فكرت الحكومة السعودية فى الآبار الارتوازية وفى استخدام الآلات الحديثة لاستنباط الماء [illegible]

الى الآن ، مع العناية بالميوق وكمهدها الاصلاح .

وليس فى جدة فنادق ينزل فيها القاصدون اليها ، وانما ينزل الناس فى بيوت الاهالى ، فمن شاء استأجر منزلا بأسره ، ومن كان لايسعه ذلك تم بغرفة مؤثثة ، على مثال « البنسيون » المصرى مع فروق طبيعية . أما نحن فكنا ضيوفاً على الحكومة ، وكان العزم أن ينزلونا جميعاً فى بيت واحد ، ولكن الاعيان تزاحموا علينا فقسمونا ثلاثاً ثلاثاً : واحدة فى بيت الشيخ محمد نصيف وهو من وجوه جدة وكبار تجارها وأصله مصرى وله مكتبة خاصة هى أكبر مثيلاتها فى الحجاز والى داره ينزل على ما سمعنا جلالة الملك عبد العزيز حين يكون فى جدة ، والفرقة الثانية فى بيت الشيخ أبى الفضل وهو كاسمه من أهل الفضل والوجاهة ، والباقون ستة كان من حسن حظى أنى منهم ، نزلوا فى دار حسين أفندى العويني ، وهو لبنانى سورى الاصل نزح الى جدة لاسباب قومية واشتغل فيها بتجارة واسعة ربيحة ، وسيجيء عليه كلام .

ولم نكد نستقر فى بيوتنا حتى قيل لنا : الى بيت القائمقام ، فنهضنا وركبنا السيارات الخاصة التى أفردت لنا ، وذهبنا نخوض بها شوارع جدة ، وأقول نخوض وأنا أعنى ما أقول ، فقد خيل إلى أنى فى البندقية وأننا أحوج الى القوارب والزوارق — أو الجوندولا — منا الى السيارات . وكانت العجلات تغرس فى الماء الى النصف . ولشد ما عجبت حين نظرت فاذا سائق السيارة صبى لايتجاوز الثانية عشرة من عمره ، فخفت أن يقلبنا فى الاوحال أو يدخل بنا الحوانيت أو يحاول أن يصعد الحائط بالسيارة . ولكنه كان حاذقاً وكان كأنه يرى الطرق تحت الماء فيجنب الحفر ويتقى أن يرجنا . هذا على ان رأسه لم يكن ظاهراً لنا لصغر جسمه . فلا أدرى كيف كان يبصر الطريق ، وكأنى به قد حفظه عن ظهر قلب فليس يحتاج أن ينظر بعينه . وكان بارعاً فى محاورة الماء والروغان من الاوحال والمهابط ، فلم يسعنى إلا أن أسأله :

« هل تعرف الطريق الى مكة ؟ »

قال : « أى نعم . متى تذهبون ان شاء الله ؟ »

قلت وفصيح أيضاً ! ورقص قلبى ، اعجاباً بمهارته وذلاقة لسانه ، وحدثتنى النفس أن أختطف ثلاثة أو أربعة من أمثاله أخفيهم فى حقائبى وأعود بهم الى مصر ، فما رأيت مثل ظرفهم وخفتهم ولطفهم .

واستقبلنا القائمقام على باب داره ، وثلاثة أرباع مبنى فى البيت من الخارج فأرتد الى وكلفت ذراعى ومضى يصعد بى السلم ، وهو يرتع فيه الى الخمسين أو أربى عليها ، وأنا شاب فى الاربعين ، ومع ذلك كان يثب على السلالم وأنا أرفع نفسى بجهد واضح ، وصعود السلم فى البيوت الحجازية عمل شاق ، لان الدرجات عالية جداً ، والبعض أعلى من بعض وأضيق ، والسطح طويل أو أقل قليلا — الى أننى بلغت وأنا ألهث بعد أن بلغنا الدور الثالث حيث حجرة الاستقبال ! فقد بحثت فى

الساعة أن الهبوط أشق بفضل هذا الارتفاع الذى يؤثرونه للسلالم . وان النازل اذا لم يحذر خليق أن يهبطها مدحرجاً عليها . وقد وجدت بالتجربة ان آمن طريقة للصعود هى الزحف على اليدين والرجلين .

واستغربت كثرة الابواب للبيت الواحد ، وتعدد السلالم ، فقد تكون صاعداً فى وديعة الله وحفظه ، واذا أمامك سلمان يذهب كل منهما فى ناحية فلا تدرى أيهما تأخذ : هذا أو ذاك ؟ وخطر لى فى أول الامر أن سلماً يؤدى الى حجرات الرجال ، وان الاخر يفضى الى مساكن السيدات ، ولكن خطر لى أيضاً أن الاكثار من السلالم المضللة والابواب المحيرة ، قد يكون أثراً من أيام القلق وعدم الاطمئنان ، أيام كان الناس يهاجمون فى دورهم على غرة ، ويبكر عليهم المعتدون وهم آمنون فى سربهم فلا يبعد أن يكون الناس قد آثروا فى الاصل هذا الطراز المحير ليتسنى لهم أن يجدوا لهم ولذويهم مخرجاً أو مهرباً اذا اقتحم عليهم الدار عدو ، أو لعل الخاطر الاول هو الاصح فما أدرى ولا وجدت من يدرى . وربما يكن من ذلك فان الدار هناك داران على الحقيقة ، وهى تبتدىء واحدة ثم تتشعب وتتعدد . ولابد لهذا من حكمة خفيت على . أما السلالم فلا حكمة لارتفاع درجاتها الى هذا الحد المرهق الا أن تكون حكمة التزهيد فى مكابدتها مرة ثانية . وما أكثر ماكان يخيل الى ، اذ ننزل من أحد البيوت ، أننا نهبط من سلم غير الذى صعدنا عليه ، حتى خطر لى ان أرسم بالقلم علامات على الجدران للتثبت وقطع الشك باليقين .

وبيت القائمقام أنموذج حسن لغيره من الدور التى رأيناها مع تفاوت بينها فى السعة ، وطرازها جميعاً شرقى عتيق ، وأقرب مايشبهه فى مصر البنى القديمة فى أحيائنا الوطنية الصميمة من مثل الجمالية والخرنفش . والبيت بوابة تفتح وتغلق — وتغلق أكثر مما تفتح ، وفيها باب صغير يسمونه فى مصر « الخوخة » ثم الفناء فالسلم الذى وصفنا لك ، ثم طبقات يغلب أن تكون اثنتين أو ثلاثاً ، وحجر الاستقبال فى الطبقة العليا ، وغرف المائدة فى التى تحتها ، وقد يجتمعان فى طبقة واحدة فتفرد الاخرى للنوم ، والاثاث فاخر والذوق فيه سليم ، ليس فيه ذلك البذخ الذى ينم على الخيلاء والذى هو أشبه « بالاعلان » ولا تلك الكزازة التى تقبض النفس وتصد القلب . وكرم العربى ليس ككرم سواه فهو يكرمك ويبذل لك كل ما يدخل فى طوقه بل فوق ما فى مقدوره ، ثم كأن الذى يصنع هذا سواه ، من فرط السكون والوداعة وقلة التظاهر . وقد كنت كلما دخلت بيتاً يختلط على الامر ، فأحسبه بيت رجل آخر غير الذى أعرف أننا مدعوون عنده ، ذلك أن مضيفك لايثقل عليك بالحفاوة ولا ينفرد بحديثك ولا يبرز نفسه أو يؤكد وجوده ، ولا تكاد تستقرك مجلسك حتى يشيع فى نفسك الشعور بعدم الكلفة وانتفاء القيود ، وأن حريتك فى حديثك وجلستك وفيما تشتهى نفسك ، غير محدودة . وكان القائمقام على مثله وتلذذ ، ونهضنا وأنهضنا الى الشيخة [illegible]

ينهض ليصده عن ذلك تنزيلا عن هذه الخدمة ، ولكن شيئاً فى عينيه كان يقعد بنا ويقلنا عن الحركة . ولم أر فى حياتى وجهاً ناطقاً بطيب الخيم ورجحة النفس والعطف الشامل والحب الذى يريد أن يفيض على العالم كوجه هذا الرجل ، وقد انصرفنا من بيته بعد أول زيارة وقد عشقناه وشغلنا به ولهجنا بذكره ، فلما قال لنا المستر فيلبى : إن القلوب مجمعة على حب هذا الرجل واحترامه لم نستغرب فكأنا كنا نعرف هذا من قبل . وقد كان قائمقام فى عهد الحسين وابنه على المزولين ، فلما جاء ابن سعود أقره فى منصبه ، كما أقر كثيرين غيره كراهة منه للتبديل والتغيير اللذين لامعنى لهما ولا دائم إليهما سوى الهوى . وليس كل مايروع المرء من القائمقام دماثته وسجاحة خلقه ، فان نشاطه وحيويته شيء عجيب ، لا ان كان فى مثل سنه العالية بل لأى انسان فى أى سن ، ثم هو الى هذا واسع الدراية محيط بأخبار الامم وسياساتها ، عارف بلياتها ومساعيها ، لطيف الحديث حلو المحضر ، يزيده وقاراً قليل من الصمم ، وسنه أبداً ضاحكة وعينه براقة ، فما أشوقنى لأن أراه وهو ثائر الغضب .

وكان قد أعد لنا غداء ولكننا قابلناه عشاء فقيل : « حسن . الساعة الاولى اذاً » .

فلت الى جارى وقلت :

« سنموت هنا جوعاً » .

قال بلهجة الفزع : « كيف ؟ لماذا ؟ »

قلت : « ألم تسمع ؟ العشاء الساعة الاولى . نحن الآن فى الساعة الاولى بعد الظهر فسننتظر اثنتى عشرة ساعة أو أكثر حتى نأكل مرة أخرى . هذا صيام ولسنا فى رمضان وأنا محتج »

قال : « مهلا مهلا ! انها الساعة الأولى بالحساب الشرقى أى بعد المغرب بساعة » .

فاقترح واحد أن أصلح ساعاتنا وأن نجريها على الحساب الشرقى ، فسألته كيف نفعل ؟

قال : « تعتبر أن الشمس تغيب الساعة السادسة — صيفاً أو شتاء . هكذا يفعلون هنا . المغيب الساعة السادسة (افرنجية) بلا تغيير على مدار السنة وعلى هذا فأجر حسابك »

فحزت لأن الشمس تغرب فى الوقت الذى تشاء ، لا فى الساعة السادسة كما يريدها أهل الحجاز ، وكانت ونحن هناك تستحسن أن تغيب فيما بين الخامسة والسادسة ، وهى فى الصيف تتلكأ أحياناً الى السابعة . فلم أدر ماذا أصنع ؟ أتكون الشمس غاربة وأقول أنا — مجاراة لساعات الحجاز — انها لاتزال طالعة ؟ ثم كيف أوفق بين رقم الساعة والوقت كما يبدو لعينى ؟ الحق أن هذه كانت عقدة .

ولما صرنا فى بيوتنا قلنا نزور القنصلية ، ونؤدى واجبنا ونحيى بلادنا فيها ، وكان المطر قد عاد يهمر ، فسألنا حسين أفندى العوينى :

« هل القنصلية بعيدة من هنا ؟ » .

قال : « لا .. (مطولة) ليست بعيدة ولكن المطر شديد والطريق أوحال » .

وقام الى التليفون — أو الهاتف كما يسمونه أحياناً — ليدعو السيارات لتقلنا الى القنصلية . وليس التليفونات أو النوافذ أرقام تميز سواء [illegible]

يصل ما بينك وبين فلان فى بيته أو دكانه أو مكتبه أو عيادته — كما تشاء . ويبطىء عليك العامل فتناديه : « يافلان ماذا جرى ؟ أعطنى بيت فلان واصنع معروفاً » ذلك انك تعرفه عامل التليفون — لا عاملته — كما يعرفك :

وكان المطر قد أفسد أسلاك التليفون وعطل المخابرات ، فوقف حسين افندى العوينى ساعة يعالج الكلام — ساعة كاملة بلا ملل أو ضجر ومن غير أن يفكر لحظة فى الجلوس أو الاستراحة . وأخيراً بعث بخادمه فجاءت السيارات وركبناها وصاح حسين افندى بالسائقين :

« الى القنصلية المصرية »

فدارت السيارات وتحولت امام البيت ، ثم جرت أمتاراً ووقفت .

وقيل : « انزلوا ! تفضلوا ! »

قلت : « ماذا ؟ هل أصاب السيارات عطب أو تلف ؟ »

قالوا : « بل وصلنا ! »

وصلنا ؟ نعم . فما كان بين البيت والقنصلية التى ركبنا اليها بعد لأى ، سوى عشرة أمتار !!

***

وقلت لما صارت الساعة السادسة وأصف (أفرنجى) :

« الآن فانهضوا الى العشاء فى بيت القائمقام » .

فقيل لى : بل لايزال الوقت فسيحاً ولم تستوف الساعة الاولى دقائقها .

قلت : ولكنها فعلت وقد غربت الشمس منذ ساعة تماماً .

قالوا : كلا لم تغرب إلا منذ نصف ساعة .

فأسلمت أمرى لله ولساعات الحجاز التى لاتعبأ بنهار أو ليل والتى يجرى الزمن على وجهها كما لايجرى فى بلادنا على وجوه ساعاتنا .

***

وليس فى نيتى أن أصف كل وليمة حضرتها أو دار دخلتها فان هذا لا آخر له ، فقد كنا نتغدى فى بيت ونتناول الشاى فى بيت والعشاء فى ثالث ، وربما تغدينا فى جدة وتعشينا فى مكة ، أو بالعكس . ولكنى سأذكر القليل الذى يدل على الكثير ويغنى عنه . فقد سمعت أن فريقاً من المصريين لايصدقون أن أهل الحجاز يعرفون الأكل على الطريقة الحديثة ، فلهؤلاء أقول : إن الحجاز ليس مجهلا من مجاهل آسيا أو أفريقيا ، والله ومن الاسلام واليه يحج المسلمون من أقاصى الارض وأدانيها وانه بلاد متحضرة سوى أنها فقيرة ، والفقر لايمنع الاناقة ولا يحول دون التهذيب ، ومن العزوز الذى لايشرف صاحبه أن يتصور المرء أن الحجاز ، لأنه على البحر الاحمر ولانه ليس معنياً أو مشتى للمترفين منا وليالى المراقص وطلاب الملاهى — يجب من أجل ذلك أن يكون مستوحشاً وعلى الفطرة الاولى . وليس فى الحجاز فنادق أو مطاعم عامة ، ولكنا ذهبنا فى كل مكان حتى فى قلب الصحراء وتحت الخيام الى موائد على الطريقة الغربية علماً من ما ينتظر أن تقع عليه العين أو يتذوقه [illegible] حتى فى مصر المتحضرة ، [illegible]

رسالة تركيا

شهر رمضان والتأهب لاستقباله — غرف المطالعة للشعب ومدارس الشعب — حركة الاقتصاد والتوفير — المؤتمر التجاري بين تركيا والروسيا — دعوة المصارعين الأتراك الى مصر — رئيس جمعية الصحافة التركية — مسابقة الجمال .

لمراسلنا الخاص في تركيا

استانبول في يوم ١٧ يناير سنة ١٩٣٠

صرح رئيس الامور الدينية في أنقرة فضيلة الاستاذ رفعت بك لمحرري الصحف اليومية بما يفيد ان الاستعداد قائم على قدم وساق لاستقبال شهر رمضان المبارك بما يليق به من الحفاوة . وكما ان المساجد الشريفة تطهر ويبذل كل جهد لاتمام العمارات القائمة فيها ، فكذلك تهتم رئاسة الامور الدينية بتعيين القراء والحفاظ وتوزيع العلماء على المساجد ليتلوا آي الذكر الحكيم ، خلال شهر الصيام وليلقوا المواعظ المفيدة على الناس . وقد أعدت رئاسة الأمور الدينية فهرست المواضيع التي يتخذها الاساتذة نموذجا في القاء مواعظهم على الناس وكان من أهم المواضيع التي اختيرت هذا العام موضوع الاقتصاد والتوفير تشجيعا للحركة القائمة في البلاد وترقية لها ، حتى تفوز البلاد باستقلالها الاقتصادي وتخلص حياتها المالية من تلاعب العملات الاجنبية .

وقد تلقى مقام الافتاء في استانبول تعليمات رئاسة الأمور الدينية في هذا الموضوع وشرع يستعد لاستقبال شهر رمضان على النحو المطلوب .

غرف المطالعة للشعب

قررت وزارة المعارف التركية افتتاح غرف المطالعة يؤمها أفراد الشعب لتغذية عقولهم وتنمية معلوماتهم . وقد تقرر افتتاح هذه الغرف في جميع المدن والبنادر والقرى حتى يستطيع الذين تعلموا القراءة والكتابة بالحروف الجديدة مواصلة القراءة والمطالعة دون ان يكلفهم ذلك أي مشقة او اي مصرف وستكون هذه الغرف تابعة لادارة المدارس الشعبية القائمة بنشر الخط الجديد ، كما سيكون في ميزانية المدارس الشعبية مبلغ كاف لافتتاح تلك الغرف وترتيبها وتأثيثها ، على نحو يتكفل بأن تكون هذه الغرف ، مهداً لتربية العامة وترقية مداركهم ، ومنعاً لهم من اسراف وقتهم بالذهاب الى القهاوي وما يشابهها من البيوت المضرة وتوصلا الى بث الروح الدينية في الشعب .

وقد جاء في التعليمات التي أصدرتها وزارة المعارف بهذه المناسبة ان كل غرفة من غرف المطالعة ، التي تتأسس على هذا النحو تحتوي على جميع الصحف اليومية والمجلات والكتب التي تكتب لتثقيف الشعب ، بلغة عامية تفهمها ، وجميع ما ترى ادارة المعارف لزوما لان يطالع الشعب عليه .

اذا لزم ذلك ، حتى لا يحرم السيدات من الاطلاع على الآثار المفيدة .

ثم تنص التعليمات عدا ذلك على ضرورة القاء المحاضرات في هذه الغرف تنويراً لرأي العامة . أما في غرف القرى فيهتم على الاخص فيها بالنظر في أحوال الفلاحين ومناقشة مسائلهم وتفهيم الفلاحين أحوال البلاد وأحوال العالم ، ويبذل السعي لبث الآراء السديدة والعقائد القويمة في نفسه وعقله ، مع القاء المحاضرات التي يفهم بها ماهية الضرائب وماهية الخدمة العسكرية والقوانين الخاصة بالقرى والنقابات الزراعية وما أشبه ذلك مما يهم الفلاح أن يكون ملماً به .

يتضح من ذلك أن ستكون هذه الغرف من أهم مساند الانقلاب التركي ، ولذلك فقد أمرت وزارة المعارف مصالحها ودوائرها بالشروع حالا في تأسيس هذه الغرف ، كما انها تكفلت بتزويدها بكل ما يلزمها من كتب ومطبوعات .

ينبغي علينا بهذه المناسبة ان نتكلم عن حركة تعليم الشعب ونشر الحروف اللاتينية بين الجميع ، وتدل المعلومات الواردة من أنقره على أن عدد المواظبين والمواظبات على مدارس الشعب اكثر من ٧٨٦ر٧٨٦ نفساً ، وثلث هذا العدد من السيدات . وقد استحقت بعض الولايات شكر وزارة المعارف على حسن بلائها في تعليم العامة . وهذه الولايات هي قارص وبولو وقوجه ايلي واستانبول ومغله وزونغولداق واسكيشهر . ويزيد عدد الذين يواظبون على مدارس الشعب في استانبول عن ١٩ر٢٧٧ رجلا و(٢٢ر١٠٩) امرأة . أما في اسكيشهر فعدد المواظبين على مدارس الشعب ٤٢٣٨ رجلا و(٤٩٩٩) امرأة .

وبعد هذا فقد استطاعت ولايات أفيون قره حصار وانكاليه وازميت وباليكسر وبولو وتكفورداغي ودونيزل من تأسيس مدارس ليلية دائمة .

حركة الاقتصاد والتوفير

تستمر حركة التوفير والاقتصاد بكل قوة وقد قررت الحكومة صرف ما توفره هذا العام ، ويبلغ عشرة ملايين ليرة على الفابريقات التي تؤسس في داخل البلاد وعلى حماية الفلاحة والفلاحين . ثم ان بنك المعادن والصنائع أقيم معرضاً لعرض الامتعة التي تصنع في داخل البلاد حتى يتيسر لكل واحد أن يعرف ما تنتجه الفابريقات الداخلية . وقد كان ما عرض في هذا المعرض عبارة عن الاقمشة التي تنسجها فابريقة هركه وبايرقة قيصري ومصانع الجلود التي تشتغلها من الاقمشة وغيرها شايا . وكانت الرغبة العامة التي صادفها السوق عظيمة وسارة .

أما جمعية الاقتصاد والتوفير فقد استهلت أعمالها بجمع عناوين المحلات الوطنية التي تشتغل بانتاج المحصولات الوطنية وبيعها ، ليتيسر لكل فرد أن يلم بكل ما يصنع في داخل البلاد وليعاين ما تنتجه المصانع الداخلية قبل الاقدام على شراء ما يرد من الخارج .

فالحركة التي قامت في البلاد مستمرة بكل نشاط ، بل هي الشغل الشاغل للجميع وهي حديث القوم في جميع المجالس .

وتتشدد الحكومة تشدداً عظيما في التصريح باستبدال النقود التركية بنقود أجنبية ، لئلا تؤدي حركة العرض الى سقوط السعر على النحو لذي سبق كرة أخرى .

المؤتمر التجاري بين تركيا والروسيا

افتتح المؤتمر التجاري بين تركيا والروسيا في موسكو تحت رياسة (قارلخان) وكيل الخارجية الروسية . وقد أشار قارلخان وهو يفتتح المؤتمر الى حسن العلاقات بين تركيا والروسيا والى استتباب الأمن بين الطرفين ، ثم قال بعد ذلك ان التوقيع على البروتوكول الجديد بين الطرفين في أواخر سنة ١٩٢٩ قد وطد هذه العلاقات . ثم أنه قدم اقتراحات الحكومة الروسية لتعديل أحكام المعاهدة التركية بين الطرفين وقال : ان من شأن هذه الاقتراحات أن تجعل العلاقات التجارية بين تركيا والروسيا طبيعية وكامله .

وقد كان يمثل الجمهورية التركية في المؤتمر سعادة حسين راغب بك السفير الكبير التركي في الروسيا ، وقد قال حضرته : ان العلاقات بين المملكتين تزداد تحسنا كل يوم وتمنى الوصول الى نتيجة ايجابية من عقد هذا المؤتمر .

وشرع الطرفان بعد ذلك في ايضاح ومناقشة المسائل التجارية الموضوعة على بساط البحث .

دعوة المصارعين الاتراك الى مصر

نشرت مجلة (تورك سبور) الاسبوعية في عددها الاخير كلمة جاء فيها : ان المصارعين الاتراك الذين يستعدون للاشتراك في مباريات أوروبا التي تقع في مدينة (بشته) في شهر مايو بناءا على الدعوة التي تلقوها وقرروا قبولها ، قد تلقوا دعوة من مصر للسفر اليها ومصارعة المصارعين المصريين في القاهرة .

وقد قالت جريدة (تورك سبور) بهذه المناسبة :

« تجري الآن المخابرات بين الاتحاد المصري للصراع وبين الاتحاد التركي للصراع حول هذه الدعوة . وحيث إن الدعوة التي وقعت من مصر ، دعوة أخوية فقد تلقاها الاتحاد التركي بكل حفاوة ، ولا شك لدينا انه ستقرر هذه السياحة . فيسافر مصارعو تركيا في أوائل شهر ابريل على الاكثر الى القاهرة .

« اذ ان فاز الرياضيون الاتراك من الجماعة الكبرى في القاهرة قبل أعوام لا ننفك نذكره بكل اجلال ولا نهاب أن ما يلاقيه مصارعو تركيا لا يقل عما لاقاه لاعبو كرة القدم من مصر الى بشته ، للاشتراك في المباريات الاوربية .

ويكفي أن يكون حضرة أشرف شفيق بك على رأس هذه الحركة ليبشرنا بكل نجاح »

رئيس جمعية الصحافة التركية

كنا أخبرنا قراءنا بما أصاب حضرة حمدي طارق بك رئيس جمعية الصحافة التركية ونائب كروسون في الجمعية الوطنية الكبرى من أن أحدا صدّأته اطلق عليه بعض عيارات نارية ادت الى التزامه الفراش والى معالجته . وقد كان ما أصاب حضرته باعثاً على قيام محبيه وعارفي فضله ومزاياه باظهار أجل آيات العطف عليه . وقد كان على رأس من واسوا الزميل المحترم ، حضرة صاحب الفخامة الغازي مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية الذي عبر له عن عظيم أثره وتمنى له عافية عاجلة وعودة حميدة الى أنقرة . وكذلك كان الامر مع جميع الجمعيات والهيئات التي توافدت لزيارته ومواساته

ونحن نتمنى لزميلنا العزيز عافية تامة في أعجل وقت

مليكة الجمال

قال الاستاذ حسين رحمي بك ، أستاذ القصة والرواية في تركيا وهو يصف مليكة الجمال التي انتخبت أخيراً وهي الانسة مبجل نامق ، في مقالة له في جريدة (وقت) .

« انني أرى ان الآنسة التي انتخبناها لتمثل الجمال التركي ، لا تفترق عن (وينوس) إلهة الجمال في جسمها وان اختلفت عنها في وجهها . ذلك لان وجهها تركي ، ووجه الالهة اليونانية ، يوناني . ثم تمتاز مليكة الجمال التي انتخبناها هذه السنة ، بأنها تبتسم الصحة في وجهها بلونها الجذاب »

بيد انه في الوقت الذي يقول فيه الاستاذ ذلك ، قامت مليكة العام الفارط فطعنت في الحكام العدول الذين انتخبوا الانسة طعناً قاسياً : لانهم عدلوا عنها واتهمت مليكة السنة الجديدة بأنها مميزة أكثر مما يلزم . والظاهر من ذلك أن مملكة الجمال كذلك ملأى بالحاسدات والمتنافرات.

« مصر »

دراسات أدبية

القصص الروسي

أكثر ما أقرأ هذه الأيام قصصاً وإني لأقرأ القصص الانجليزي والألماني والفرنسي فلا أجد هذه المتعة الفنية التي أجدها في قراءة القصص الروسي . فأنت تدخل عالما جديداً مترعا بالفن ، زاهيا بألوان الشعور ، وضروب الاحساس مليئا بصور الجمال وبساطة التعبير حينما تكتشف القصص الروسي لأول مرة .

ولقد عنيت بالقصص الروسي ودراسته بعد أن قرأت هذا المدح المستطاب ، وهذا التقريظ العالي الذي يتفق عليه معظم نقاد الغرب وينادون مجمعون على استحسانهم للفن الروسي ، وانه من ارق ما خلقته يد الانسان في هذا النوع من الادب ان لم يكن أرقى نوع وأعلى قصص . والحق أقول ان القصص الروسي انما هو أدب المستقبل وكفى !

هو قصص يهتم الى بساطة التعبير وعدم الزخرفة اللفظية ، جمال الفن الرفيع ، والى صدق اللهجة ، سحر المرمز ، يعنى بمسائل الحياة ومسائل المجتمع الانساني . فيه عنف واسر وشدة في العاطفة ، وتصوير لمآسي الحياة وآلامها في غير ما تحيز ولا تمحل . فأنت تقرأ هذه القصة فتجد فيها من الفكاهة المحزونة ما يتصل بشغاف قلبك ، وتنتقل منها الى هذه فتجد في جوها شيئاً من السحر والابتكار لم تألفه من قبل في جميع ما قرأت من قصص ، لهذه الفردية التي يتسم بها الادب الروسي ، وهذا الاختراع ، وهذه البساطة الجليلة هو ، ما يعطي القصص الروسي مكانه من الادب العالي ، ويحله ذروة من الخلود عالية !

ففي الادب الروسي اذاً نغمة محزونة ، وفكاهة قل أن تجدها ضاحكة ، وتصوير قل أن تجد مثله في بقية الاداب والفنون . والكاتب الروسي وطني قبل ان يكون كاتبا وفيلسوفا ، فهو يصور حالة الفلاح ومساكين الناس وكأنه واحد منهم يشعر بما يشعرون ويحزن لما يحزنون ويسيح قلمه أنينا لا يخطئ السامع أنه منبعث من كبد الفؤاد . فهو القصص الذي يجمع الى جمال الفن شرف الغاية وجلال الاصلاح الاجتماعي . فأنت تجد في « دوستيفوسكي » ذلك القديس الذي يحب الناس طيبهم وخبيثهم ، فقيرهم وغنيهم ، بل انك لتشعر أن ليس للبغض محل من قلب هذا الكاتب المجيد . فهو يتفنن في تصوير الناس على اختلاف طبقاتهم ، وحالاتهم العقلية بقدرة العالم النفسي الراسخ القدم في معرفة الطبيعة البشرية ، وببساطة الفنان الذي يبدع صوراً هي آيات للناظرين وبعمق الفيلسوف الواسع النظر والفكر ، وبعطف القديس الواسع الرحمة والغفران . وهكذا تجد القصص الروسي في جميع صوره يختم للصدق للحياة والامانة للفن ، والعمل في سبيل الاصلاح الاجتماعي ، فأنت تجد « تورجنيف » مثلا وهو امام الفن واتمه الجليل في قصة « الآباء والابناء » يعرض العراك العنيف بين القديم والحديث

العراك وقد اشتد ، ونحس بهذا التصادم وقد احتد بين الافراد والجماعات ، ترى هذه الامال التي تحتجنها قلوب الشباب عادة مصورة أبدع تصوير .

ثم ترى تلستوي ذلك النبي المصلح الذي لا يؤمن بقوانين الناس وما تواضعوا عليه من نظم وعادات ، يعمل لخير البشرية عامة ويوسع العالم كله بعطفه وحبه ، والعمل لاصلاحه وانارته . هو رجل ديمقراطي واسع الافق ذو نفس عالية وقلب كبير ، وقد أودع كل هذه الصفات قصصه وكتبه .

ولقد ازدادت القصة القصيرة رواجا واقبالا من الكتاب والجماهير حينما كثرت المراقبة واشتدت على نتاج الافكار ، وكتابة الكتاب ، فلجئوا الى القصص يودعونه النظرات الاجتماعية والثورة على هذا الظلم والعبودية والارهاق وعندئذ ترعرع هذا الفن وأقبل عليه الكتاب يودعونه فنهم وآراءهم في الاجتماع ، وظهر (انتون تشيكوف) فبلغ هذا الفن أعلاه وأخذ شكلا وطابعا من الخلود والعظمة ، وبعده جاء (كوركي) و(اندريف) وخلافهما ، فأحالوه سلاحا اجتماعيا يهابه الاعداء ، ويؤثر في الجماهير أثر الخمر في العقول والالباب . واننا لنرى في فن (جوركي) الام أمة بأسرها وماذاقته من مصائب واحن وعدوان ، فزلزل النظام القديم وهد معالمه ، وصار ابن الديمقراطية البكر ، ومعبود الجماهير الذي لا يبغي به بديلا ، ولقد رأيت أخيراً صورة «لكوركي» في بعض المجلات وهو يخرج من دولته ويشترك في شؤون الحكم فاذا باستقباله من قبل الشعب يفوق كل وصف واطناب ، فلقد خرجت أمة بأسرها تستقبله كأنه الفاتح العظيم . فأعجب لشعب يقدر كاتبه هذا التقدير ويحله مكانا يحسده عليه الملوك والسلاطين !

كما اننا نجد رهطاً كريما من الكتاب يعمل للقصة ويرفع من شأنها أمثال (كولبرن) (وسلجوب) وخلافهما من القصاصين . غير أننا نجد في (تشيكوف) وهو امام هذا الفن غير مدافع ، الابتكار في أعلى مراتبه والوصف في أعلى درجاته والعاطفة في أحد أطوارها ، نجد كل هذا ونجد الصدق الصارخ والفن العاري ، وهو يجيد رسم كل الطبقات على اختلاف أنواعها وأطوارها . ولنعرض عليك بعضا من فكر هذه القصص علك تذوقها أو تحببك الى هذا القصص فتقرأه وتدرسه .

ففي قصة (الحبيبة) مثلا لتشيكوف ترى صورة هذه التي لا تستطيع الحياة من غير حب ، وهي ان أحبت أحداً شاركته أفكاره وعواطفه ونزعاته وكل شيء يميل اليه ، وكل شيء يكرهه فاذا أعوزها الحبيب لم تطب لديها الحياة ، ولا تجد متعة ولا لذة الى أن تجد طفلا صغيراً فتحبه . وفي قصة (المباءة) «لكجوجول» ترى الفكاهة المحزونة ، والسخر الشديد القارص ، وعواقب الكبرياء الكاذب ومسخرية الايام ، وضحكات الاقدار ، ترى هذا

الايام فاشترى له عباءة جديدة وفرح بها فرحاً ، تأولها عنايته ، وقد دعاه أصدقاؤه لكي يسهر معهم احتفالا بعباءته ، وما اعتاد السهر من قبل ولا حياة البذخ والترف ، فعاد في ساعة متأخرة وهناك وجد من أخذ منه عباءته وضربه ضربا مبرحا ، فأبس عباءته الضائعة وتأسف أصدقاؤه لما حل به وأشاروا عليه أن يشكو أمره الى موظف كبير ، فهو قمين أن يهتم لأمره ، فما كان من هذا الموظف الكبير إلا أن عامله بكل عجرفة وكبرياء وطرده في غلظة وجفاء فمات الرجل من أثر هذه الصدمة ، غير أن روحه أزعجت هذا الموظف الكبير كل ليل يخرج من بيته .

وفي قصة «طبيب المركز» «لتورجنيف» ترى هذا الطبيب الذي برح الحب به فصار يهذي بعماسته لكل من يلقاه ويقص عليه كيف أنه أحب فتاة مريضة وأحبته فلازمها أكثر من أمها وترك عيادته الى أن توفاها الله .

وفي قصة أن « الله يرى الحقيقة ولكنه يصبر » لدستيفوسكي ترى هذا الرجل البريء ، الذي كاله العلاج والتقوى يسافر مع صديق له فيلتقيا وهما على سعة ، لص فيقتل صديقه وينشر سكينه التي قتل بها الرجل في أمتعة الصديق المسكين ، فيضبطه البوليس ويودعه السجن وهو بريء وقد حكم عليه بخمسة عشر عاما ، فاذا ما مضت الايام ، عاد القاتل الاصلي الى السجن وقد عرفه صاحبنا من بعض كلامه وقصصه لانه قد قال انه ارتكب قبل هذا جريمة كبيرة ولم يسجن .

والآن يسجن من أجل جريمة صغيرة ، فاشتد حنق الشيخ البريء عليه وود لو ينتقم منه ، واذا بهذا الشيخ يضبط القاتل يأتي أعمالا مخلة بأوامر السجن ، غير انه يسأل عنها فينكرها لما جبل عليه من العطف والمغفرة ، فاذا بالمجرم وقد أخذه كرم هذا الرجل يطلب مغفرته ومصفحه ، ويعترف لأمور السجن بأنه هو القاتل وأن هذا الرجل بريء لا ذنب له ! ......

كما اننا أيضا نجد تولستوي في قصة « كورني فازليف » يصور لنا هذه الحالة الاجتماعية بين رجل وعائلته ، يغضب الرجل فيضرب بنته فتغضب الوالدة لذلك وتطرده من بيتها ، فيذهب وقد صار فقيراً شحاذاً تاركا أولاده وقريته ، متنقلا بين المدن والقرى ، ويأتي بعد السنين الطوال الى قريته فيرى ابنته فيعرفها ، وهنا يعتريه حزن عميق وألم مبرح ، فيزورهم ويعطفون عليه ويعطونه شيئاً من الخبز والطعام ، وأخيراً وقد عرفته الزوجة فلم ترتاح لهذا الشحاذ القذر . ولقد أحس هو ما يخالج نفسها فيروح هائما ، ويموت في قرية قريبة ، وفي نفس الوقت تأسف الزوجة لعملها هذا وتذهب للاتيان به ولكنه قد مات ! — كل هذا يصوره لك « تولستوي » في صورة تعجبك وتستمطر ماء شؤونك ! »

في قصة « الفلاحة » لجارشن ترى هذا الموظف المسكين الذي تحصل على وظيفة في ادارة القطارات بعد كل تعب ونصب ، وهو رجل أمين في عمله ، الامانة كلها ، واذا بيوم يرى القطار بعيدا ويرى أن السكة ضرورة خطرة

يكاد يكون أمراً محتماً فيلطم نفسه ويأخذ منديله ويخضله بالدماء ويرفعه بيده علامة الخطر وقد وقع الرجل على الارض صريعاً ولكنه مازال ممسكا بمنديله المخضل بدمه ! ، مواقف صارمة وعواطف حارة ، ومآسي وفواجع تستنزف الدموع وتبعث على الاحزان والآلام !

في قصة « الرهان » لتشيكوف ترى هذا المحامي الشاب مع هذا التاجر الثري مع بعض الصحاب وقد جلسوا يتحدثون ويتنادمون فتؤدي مناقشتهم الى أن يتراهن هذا المحامي الشاب بأن يدفع له هذا التاجر ٤ ملايين من الجنيهات مقابل أن يسجن نفسه في غرفة لا يحدثه انسان ولا يتحدث الى انسان ، ولقد وجد صاحبنا المحامي في اول ايامه ، انها مهمة صعبة لاتطاق ، ولكنه تحمل وصار يطلب كتب الفلسفة فيقرؤها ويدرسها ، ثم يطلب كتب العلوم فيقرؤها ويدرسها ، ثم كتب الادب . وهكذا الى أن قرأ كل العلوم واللغات . كل هذا والكتب تعطى له من شباك صغير . فلما تمت مدته وقد ضعف جسمه ، ولكن قد كبر عقله ، كتب مذكرة يهزأ فيها بالمال ويصف الحياة الباطل ويعاف مدينه من كل هذه المظالم التي تراهن من بعد أجلها ، كانه في الوقت نفسه نجد هذا التاجر وقد اضطرب عقله وقال لنفسه : هاهو يخرج الغد وقد صار طالباً وغنيا وما استفدت أنا شيئاً سوى السخف والفقر فلأقتله وأرتاح منه ، ويفتح باب غرفة الشاب بكل تؤدة ويصوب نحو رأسه المسدس ، ولكنه رأى هذه الورقة فقرأها ففرح وتأسف في نفس الوقت ووبخه ضميره من انه كان يود قتل هذا المخلوق الطيب الصالح !

وفي قصة «المستنقع» يعلو « كبرن » الى أعلى سماوات الوصف وتصوير الشقاء وحكم الحياة القاسي : عائلة فقيرة يحتم عليها شقاؤها أن تسكن في مستنقع مملوء بالضباب والظلام ، والبرد القارص والرطوبة القاتلة ، ولكننا نجدهم يعيشون في صمت واطمئنان غير ساخطين ولا متذمرين ولو أن الكآبة رسمت على وجوههم خيوط الشقاء والآلام المبرحة ، ولقد مات الكثير من ابنائهم وهاهم الاخرون في انتظار الموت المحتم وقد زارهم شاب ورجل يعملان معاً ، فقامت الزوجة تحضر طعاماً في ذلك الجو المميت . ثم ناموا من بعد ذلك ، ولكن لم يغمض لهذا الشاب الزائر جفن فهو يرى الجمال يودي به الشقاء ويرى الموت يحدق بهذه البنت الملائكية ، فيحبها حباً ممزوجاً بالعطف عليها ، والتألم لمصابها . والكاتب يصف كل ذلك في صدق وبساطة والقارئ يظل مأخوذاً بما يصفه ومتأثراً تأثراً حاراً لشقاء هؤلاء الناس ومصاب هؤلاء المساكين !

مخاوفة محمد لبوه
جامعة بيروت

جان جاك روسو

لمحة فى ماضى حياته العجيب ، واعترافاته الجريئة

للاستاذ محمد على ثروت

... فى اعترافات (روسو) ما يقذف الرعب فى القلوب خصوصاً عندما نراه يعترف صراحة بجرم هائل ! فظيع ! رائع ! — ذلك هو سفك الدماء ! واقتراف جريمة القتل !

ولكنه كان يعتقد أن اعترافا صريحا كهذا انما هو خير من التستر وراء عبارات زائفة من آيات التلاوة والتبتل الدينى ، كأن يتظاهر الانسان بأنه قديس طاهر يصوم النهار ويقوم الليل متهجداً ، ولكنه فى الواقع أفاق كذاب محتال !

هكذا كان يعتقد (روسو) ، وكان يعتقد الى جانب هذا أن نفسه شريفة ما دام هو قد كشف عنها وأظهرها للناس على حقيقتها العارية . وكان يؤمن أن شرف نفسه قد وصل الى غايته القصوى ، كما يتضح ذلك من العبارة التالية التى جاءت فى اعترافاته الهائلة :

« لقد كنت دائما أعتقد ، وما زلت عند اعتقادى أن نفس ذلك الذى يدون هذه الاعترافات هى خير نفوس الناس طرآ ! »

وجاء فى موضع آخر من اعترافات (روسو) :

« ألا إن عواطفى لعنيفة وقاسية ، وكذلك انفعالاتى النفسانية حادة وصارمة ، الى غاية ما ينتهى اليه العنف والقسوة والحدة والصرامة . بيد أنى تحت تأثير تلك الانفعالات لا أرى أنه لم يكن هناك شىء يوازى أو يعادل حدتى وسورة نفسى — تلك الحدة والسورة التى لم يعمل فى ايقاد نارها غير الوجد والعذاب والالم . ولذلك الوجد والعذاب والألم فى أعماق قلبى اضطراب وسعير وزفير !.. انى اذا ما غضبت فقد أكون فى غضبى غريباً عن الرشد والعقل والتبصر ، غريباً عن الاحترام ، غريباً عن الخوف والذعر ، غريباً عن الاذعان لتقاليد التأدب والحشمة واللياقة ! بل على النقيض من ذلك كله أكون فظاً فى اعلان الحق ، جافاً ، خشناً ، وقحاً !... أجل انى إذا ما أردت أن أعلن حقاً فقد أكون فى إعلانه سليطا لا أعرف حياء ولا أعرف موارية ولا ملقاً ! وانما أكون باسلا ، جريئاً ، مقداماً فى اذاعة ذلك الحق ! وليس يستطيع الخجل أن يحول بينى وبين الافشاء عما يختلج فى طيات نفسى من كلام ! وكذلك الخطر المحدق بى من كل صوب ليس فى وسعه أن يعوقنى عن التصريح بما أراه حقاً صراحا ! وليس فى وسعه أن يلقى فى قلبى أى رعب أو شبه رعب وانما أكون فى اعلان الحق غير هياب ولا وجل ، لأن ذهنى انما يشغله غرض واحد وحسب . وما سوى ذلك الغرض الاسمى فمن سقط المتاع وليس خليقاً بأن يكون موضع تفكيرى ولا محل اعتبارى ! — ذلك حماس لحظة ، وقد أغوص فى اللحظة التالية فى حالة فناء وعدم . ففى اللحظات التى أكون فيها هادئاً ، حينذاك أكون التكبيل والبلادة والتراخى ، وحينذاك أكون التهيب والوجل والجبن ! واذا ما اردت أن أنبس ببنت شفة ، والكلام أقل ما يمكن أن يقوم به الانسان من عمل ، بل هو أتفه الجهود جميعها ! فقد يتراءى لى ذلك كأنه عمل لا يطاق ولا يحتمل ! . . عند ذلك يزعجنى كل شىء . ويخيفنى كل شىء ! حتى طنين الذبابة الضئيل يجعلنى فى لحظات هدوئى أرتعد فرقا ، وأذوب وجلا ! ... حينذاك يتملكنى الوجل والخوف حتى لأحاول أن أقى نفسى من الخيال السارى ! ... واذا ما أردت القيام بعمل فلست أعرف ماذا أفعل ! واذا ما أرغمت على الكلام فانى أرى لسانى معقوداً لا يستطيع أن يتكلم .

ولئن نظر إلى انسان فقد أشعر على الفور أن ملامح وجهى قد تغيرت ! . . . وأما اذا ما كانت هناك مسألة تشغل حيز تفكيرى ، وتملأ منى فضاء التصور فحينذاك أعبر عن أفكارى بسهولة ! ولكن فى المحادثات العادية فلست أستطيع أن أتكلم ، ولست أستطيع أن أقول شيئاً على الاطلاق ! »

هذه هى بعض العبارات الجريئة التى وردت فى اعترافات (روسو) . وكلما قلبنا صفحات تلك الاعترافات نرى العجب العجاب ، فهو يقول عن عن المال : —

... « وأستطيع أن أصرح فى معرض التحدث عن المال أن المال سم يقوض دعائم العقول ، ويحطم الاذهان ! ولم تكن هناك رغبة من الرغبات ، ولا ميل من الميول ، التى كانت تتجه اليها نفسى لتسلطها وسيادتها على ذهنى ، لتتمركز فى تلك المسرات والشهوات التى يشتريها الانسان بالمال ! فالمال انما يسمم مسراتى ، ويطفىء نور انشراحى وسرورى ، ويهدم صروح فرحى وابتهاجى ! فيجب إذاً ألا أجعل ذلك السرور المطلق سروراً زائفاً مغشوشاً عند ما أشترى أسبابه بالمال ! .. انى أحب سرور المائدة ولكنى لست أستطيع البقاء فى وسط لا أطيق البقاء فيه !

انى أستطيع أن أهصر أغصان السرور مع صديق ، لان المرء بمفرده لا يستطيع أن يتذوق طعم السرور ولان تصورى وذهنى يشغلهما شىء واحد خارج عن ذلك السرور . وحينذاك لا أشعر بأى انشراح الا عند ذلك الذى يشغل ذهنى !.. والنساء اللائى يستطيع الانسان أن يشتريهن بالمال ، أو بعبارة أخرى يشترى عواطفهن ، لن يثرن فى نفسى أى نوع من الاعجاب ، لان قلبى الذى يخفق بالعواطف ويقدر كل ما يرضى العاطفة لا يستطيع أن يقنع بغير الحب الحقيقى والاخلاص المحض . أما المرأة التى تبدى لمن يبذل لها المال الرغبة والحب ، انما تبدى رغبة وحبا أشد وأقوى بأن يكون لها أكثر بذلا وعطاء ! وهكذا جميع صنوف الانشراح اذا لم يكن القلب من أعماق أعماقه يحس بها ويشعر باستمرائها ، فهى اذاً تافهة وحقيرة وعديمة القيمة ! . . ولست أشعر فى الوجود أن هناك عواطف يخفق بها قلب ابن أنثى تضطرم اضطراماً ، كما تضطرم عواطفى حين تفنى فى شىء ما ! كما أنه لم يكن هناك حب فى مثل ذلك الحنان والصدق الذى يكون فيه حبى اذا ما أحببت ! . . ذلك لأنى لست أحفل بذاتى وانما أبذلها ضحية على مذبح الاخلاص والحب لمن هويت ! .. وانى لا عتقد اعتقاداً يقينياً لست أرانى أستطيع أن أتحول عنه ، أن استطارة الشهرة وبعد الصيت ، حين يكون الانسان صاحب مبدأ ، يفنى فى التمسك بالابيه ، انما يكونا أثمن وأعظم من حياته التى يبذلها فى سبيل التمسك بأهداب مبدئه والاخلاص له حتى آخر ضربات قلبه ! .. لذلك كان كل ما يصدر عنى شيئا صريحاً لامداجاة فيه ولا مداهنة ولا ملق ! .. ولهذا فانى أرانى أتخذ الحيطة كل الحيطة ، والتدبر كل التدبر كلما قمت بمغامرة ما ! .. وبرغم هذا فقد يكون نصيبى الفشل ! . . وفيما يختص بالنساء أرى أن افتقارى للنجاح انما يعزى لأنى اذا ما أحببتهن فانى أحبهن لدرجة قصوى ! »

وعلى هذا النحو يسير « روسو » فى تدوين اعترافاته . وانه ليسلم بأنه كان لصا لا تتعفف يداه عن أن تمتد لسرقة ! ويسلم أيضاً فى غير ما حياء أنه كان كذابا ، أفاكا ، محتالا ! وانه ليقص علينا دون استحياء أو خجل كيف أن نفسه قد سمحت فى احدى المناسبات بأن تترك سيدة فى مقتبل العمر تحترق فى نار جريمة من جرائمه الحقيرة ، الدنيئة ! وهو يسجل ببساطة وبسلامة طوية فى تلك الاعترافات أنه بينما كان يعيش مع الأرملة الثرية قد فقد ميله للسرقة — كما يتضح ذلك من العبارة التالية التى وردت فى تلك الاعترافات التى نحن اليوم بصددها :

« ... بما أن كل شىء قد صار ملكا لى . فليس هناك شىء يمكن أن يسرق ! »

وفى عام ١٧٤٤ عند ما كان يعيش فى فندق حقير من فنادق (باريس) على الشاطىء الشمالى لنهر السين قابل لأول مرة (تريزا دى لافاسير) وهى امرأة جاهلة غير متعلمة تحترف مهنة خادمة مطبخ ، فأحبها وأحبته ثم عاشا معاً الى آخر حياته المليئة بالمغامرات العجيبة ! وهو نفسه يصفها فى اعترافاته بالعبارة التالية : « انها لا تستطيع أن تسرد بترتيب اسماء الاثنى عشر شهراً التى تكون السنة ! كما أنها لا تستطيع أن تعين رقما عدديا من آخر ! وعلى ذلك فقد قاسيت كثيراً ، وبذلت مجهوداً كبيراً ، فى تعليمها الارقام العددية ، وهى لا تعرف كيف تعد النقود ، أو تحسب ثمن الاشياء ، وحتى الكلام البسيط كانت لا تعرف أن تقوم به ، أو تضطلع بسرد عباراته فى ألفاظ مفهومة !... »

هكذا وصف (روسو) المرأة التى قضى بين أحضانها المرحلة الاخيرة من مراحل حياته . ولكنه برغم ذلك كان يحبها . والدليل القائم على ذلك الحب هو أنه قد عاش معها حقبة طويلة من عمره !

ولقد استولد (روسو) تلك المرأة الأمية (تريزا) خمسة أطفال تركهم جميعا كل واحد عند مولده تحت رحمة ملجأ اللقطاء ، وهو يبرر تلك الاجراءات الوحشية التى لا يمكن أن تصدر الا عن عواطف جامدة وقلب متحجر صلد ، بمبرراته الخلابة الساحرة ، وها نحن نذكر العبارة التى كتبها فى اعترافاته بخصوص ترك حشاشات نفسه ، وفلذات كبده ، تحت رحمة القدر ، فى ملاجىء اللقطاء ، فهو يقول فى هذا الصدد بالحرف الواحد :

« ... يقولون عن (جان جاك) إنه رجل قد جدب وجدانه . وجمدت عواطفه ، فوضع بين حنايا ضلوعه صخرة صماء فى مكان القلب الخافق ، وترك أبناءه صغاراً كأفراخ الطير . فى عراء المجتمع الصاخب كريشة فى مهب العاصفة ترتفع تارة وتنخفض أخرى . ولكن ذلك القول هراء لا قيمة له ، فجان جاك الذى يرشقونه زوراً وبهتانا بهذا الزعم الباطل لم يكن قط فى حياته رجلا لا عاطفة له . ولم يكن قط فى حياته والداً شاذاً غير طبيعى ! كلا ! فقد أكون قد خدعت مرة فى حياتى وما بى لص متاعى أو قلبى . ولكن عواطفى وشعورى ! كل هاتيك الاشياء ما برحت متأججة فى أعماق قلبى ! كما أن ذلك القلب ما زال خفاقا بحب أبنائى الى أن ألفظ أنفاسى الاخيرة ! لقد تركت أبنائى الصغار تحت رحمة العدالة فى مستوصف اللقطاء . ولئن سألونى لماذا فعلت ذلك فانى أعدد لهم الاسباب التى لا تقع تحت حصر ! وما دامت نفوس الناس قد جبلت على الاثم والشر ! وما داموا قد أضلونى وخدعونى وأغرونى على الانغماس فى حمأة الزنا والفسق ففى وسعهم إغراء أناس آخرين ! وعلى ذلك فلست أستطيع أن أترك هؤلاء الصغار وحدهم يوجهون ذلك الخطر الذى تعرضت لأنوائه وزعازعه وأنا صغير عندما اضطررت أن أمخر عباب الحياة الزاخر وأنا غلام غض الاهاب رطب العود مبتسم الثغر بآمال الشباب !

دعهم يقولون ما يشاءون . وما دمت مقتنعاً بأنى انما الخير هو عين ما فعلت فلا بقى عن كثب أرقب ما تتمخض عنه شفاههم من مقذع القول ومر الكلام ، فما أردت الا حماية أولئك الصغار الابرياء مما قادنى فى صباى الى الانحدار فى أعماق الهاوية ذات الظلام الدامس الرهيب !

لقد تركت أبنائى يتعلمون تعليما عموميا بأيدى المنشآت القائمة لتهذيب أبناء البلاد ، لأنى كنت فى حاجة الى المال الذى أستطيع به أن أربيهم بنفسى ، وأسهر على تثقيفهم وتهذيب نفوسهم بالعلم والعرفان والتربية الصحيحة !

لقد تركت هؤلاء الصغار تحت رحمة الملاجىء ليلشأوا عمالا وفلاحين فذلك لهم وللمجتمع خير وأبقى من تركهم ضعافا فى صميم المجتمع يحاولون العبور من الشاطىء الى الشاطىء ، وفى وسط الخضم تقوم الصخور والجنادل التى ارتطمت بها سفينتى وهى تمخر عباب الحياة فى ماضى أيامى !

ولماذا أترك هؤلاء الابرياء مغامرين أو متقمصين فرص تسنح بين الحين والحين فى ميدان الحياة ! ؟

على هؤلاء الصغار أن أتركهم تحت رحمة القدر ينشأون فى أحضان ملاجىء اللقطاء ومستقبلهم من أن أتركهم جنوداً ضعافاً عزلا من السلاح فى ميدان الحياة المصطخب الزاخر ! المليء بالمفاسد والشرور والآثام !

وانى اذا ما تركتهم هكذا فلست أنتهك حرمة أو أقوم بعمل شائن ، وانما أعتبر نفسى حينذاك مواطنا صالحا ، وأبا باراً ، وعضواً ذا نبل فى جمهورية (أفلاطون) ! »

وفى ختام هذا البحث نقرر أن (جان جاك روسو) ، كما يقرر (الاستاذ سانتسبورى) الانجليزى الذى درس وحلل وترجم اعترافات (روسو) الى بين يدى الانجليزية ، كان رجلا دقيق الاحساس الى حد بعيد ، وكان أديبا تخرج عواطفه المهتاجة المؤثرة فى أسلوب خلاب ، لا تعمل فيه ولا تصنع ، ولا تدبيج لا [illegible] ، وانما هو أسلوب طبيعى مرسل [illegible] قويا بليغا فى وصف الطبيعة وجمالها ([illegible]) بعض النقاد الى الجهر أن (روسو) كان شخصية ذات أثر فعال فى التاريخ الفرنسى وفى التاريخ الاوربى عامة ، ويقول البعض [illegible] (فولتير) [illegible]

حال المـــــــرأة

يقظة فى حلم

كانت المناقشة حادة فلم أستطع المكث حتى آخرها . . لقد سئمت سماع أمثالها . كانت عن المرأة وحقها المهضوم بين شاب « رجعى » وآخر قد ربته تجارب الحياة حتى صيرته فقيه معناها . الاول يقول إن للرجل الحق فى السيطرة المطلقة على المرأة ، والآخر يقاوم تلك الفكرة ويعزز أقواله ببراهين علمية حديثة تقنع السامع لو كان جماداً يسمع

كل ذلك أمامى . . .

حانت الساعة الثامنة فاستأذنت المتناقشين فى الانصراف وذهبت توا إلى مخدعى طلباً للراحة ثم مالبثت أن نمت نوما عميقاً . ولكن ! هل كان مريحاً ؟ ! . مادخلت عالم الأحلام حتى رأيت أمامى سحابة صيف تتشعث ثم ظهر من ورائها شيخ مسن تدل سيماه على النقاوة والوقار وكأن عينيه الحائرتين تنطقان بما انطوت عليه نفسه الأبية . اقترب منى فنظرت اليه مستفسرة وإذا به يقول :

— أ أنت نائمة وأختك تعذب ؟ قومى . إنهضى من سباتك وانظرى بعينيك مايمثله الآدميون على مسرح الحياة من ضروب الوحشية — قومى وانظرى كيف تتعذب الانسانية فى شخص المرأة . نظرت اليه حيرى فلوح بيده مشيراً إلى طريق واختفى .

لا تعجب أيها القارىء إذا تتبعت إشارات هذا المسن فحب الاستطلاع غريزة فى الانسان سرت فى هذا الطريق قليلا فوجدت نفسى أمام حديقة فيحاء تمرح فيها ثلاثة أطفال وبالقرب منهم أم وأب سعيدان : أخذ منى الشوق كل مأخذ فاقتربت منها وأخذت أداعب الاطفال لأجد مجالاً للحديث مع الأم .

علمت من زيها أنها غربية ومن حديثها أنها سعيدة بعدالتها متمتعة بحقها محترمة من شعبها محبوبة من زوجها .

أخذت تحدثنى مليا عن حالها ملمحة إلى حالة ابنة النيل فضرب حديثها على الوتر الحساس فى قلبى ! . .

قفلت راجعة . حزينة . كسيرة القلب لما سمعت منها من التعريض بحالة المرأة المصرية والرثاء لها .

وبينما أنا سائرة إذ شعرت بظمأ شديد فطرقت بابا فتحته لى فتاة نحيلة هزيلة الجسم غائرة العينين مصفرة الوجه قد رسمت الهموم على وجهها صورة لن تبرح مخيلتى . طلبت منها كوب ماء وما ذهبت لتحضره سمعت بكاء طفل . وبعد برهة عادت إلى تحمل طفلا . هو صورة من الهم مصغرة لها . . علمت أن هذا ابنها . ولما سألتها عن علة بكائه قالت إنه مريض قلت . الا تذهبين به الى الحديقة لعل فى نسيمها مايخفف ألمه ؟ فتنهدت عن حرقة قائلة :

— أنى لى ذلك وقد حكم على بالسجن مادمت حية ؟ ! قلت لها . ولم ؟ وهل تجدين من بيتك سجناً ؟ إنه مملكتك الصغيرة أيتها السيدة . وأنت المتوجة عليها وكل مافيها رعاياك .

فتنهدت عن مرارة وقالت : كان يكون لى ذلك لو أننى منحت من الحرية ما أباحه الله . . لقد حرم على زوجى أن أبرح المنزل . لا لذنب سوى أننى امرأة ! ! !

سألتها وأين زوجك الآن ؟

قالت لى أدرى فهو يأتى من عمله فيتناول غداءه أولا يتناوله ثم يتركنى ويأتى إما فى منتصف الليل أو فى الصباح .

سألتها :

وهل أنت راضية عن هذه المعيشة ؟

فأجابت — لقد رأيت أبى وأمى على هذا الحال من قبل فكيف لا أخضع ؟

ودعتها وانصرفت بادية سوء حظها . باكية من أجل التكثيرات أمثالها .

استيقظت وأثر الحلم فى مخيلتى . القلب منقبض ومنكسر والنفس حزينة كئيبة . ولكن فى هذا الظرف وجدت متنفسا ضيقاً تحمله ارض النسوى . وألف حمد لله . يوجد بوطنى العزيز القليل جداً من المتمتعات ببعض حقوقهن . ولكن . هل إذا بحثنا ونقبنا نجد أن المرأة فى مصر نالت حقها المقدس ؟ . أمحترمة هى ؟ أمتمتعة بحريتها الشخصية التى هى أقدس ما تملك ؟

لا . . . فقد سلبها الرجل الكثير من ذلك مدعيا حمايتها ! ! وبئست الحماية التى يمارسها [illegible]

فلئن بحثت فلا يكون بحثى إلا من هؤلاء الذين يرمونها بالسخط حين مطالبتها بحقوقها المهضومة

ألا أيها الرجل . . تنبه ان كنت فى غفلة فاعلم أن المرأة التى تتحكم فيها . . هى إنسان كامل الخلقة ذو حق مغتصب .

الفرج والتمدن والعمران يرى فى سعادة المرأة علواً له . ولكن . . . أيها الأب المستبد . أيها الأخ المسىء الى أخته . . . أيها الزوج المتجاهل حق زوجته . . . هل المرأة سعيدة ببلادكم ؟ هل الى هذا الحد سرتم فى طريق الضلال حتى تنكرتم مطالب الطبيعة فى منحها الحرية الصالحة حتى تركتها [illegible]

الغربية بأشواط بعيدة ؟ وهل الذنب فى ذلك يرجع اليها ؟ ؟

كلا . . . وألف كلا . . . إن عمران البلد أو تأخره فى يد تلك المخلوقة الضعيفة فى زعمك ! يقول نابليون : « أصلح من المرأة تجدها الشعب »

« المرأة التى تهز المهد بيمناها ، تهز العالم بيسراها فان كنت جاحداً فضلها فأقمنى البراهين وإلا فاعترف وأنصفها وخذ بيدها الى المستوى اللائق بها لتحيا الوطن وتسعد الامة ثم [illegible] الامهات على أبنائهن

ولا [illegible] الجحود ولا [illegible] [illegible]

الفيلسوف الجــــاهل

للشاعر الفرنسى الساخر فولتير

هل أنا حر ؟

لكى أكون حراً حقيقة ، يجب أن تتوافر لدى القوة الكافية ، فحريتى تتضمن أن أفعل كل ما اختار ، ولكن يجب أن أختار ما أريد ، والا كان ذلك الاختيار بلا تعقل وبلا سبب ، وهذا مستحيل . كذلك تشمل حريتى ان أسير حينما أفكر فى المسير ولو أنى قد لا يكون لى ذوق أو رغبة فيه .

إن حريتى تتضمن الا أفعل شيئاً ضاراً ، وخاصة اذا ما أبان لى عقلى أنه حقا فعل ضار . وتتضمن حريتى أيضاً اخضاع العواطف ، عندما يشير لى عقلى بخطر الاسترسال فى مطاوعتها فيتنازع هذا العمل بقوة مع رغبتى .

قد نقمع عواطفنا ، لكننا حينئذ لا نكون أكثر حرية فى شهواتنا ورغباتنا ، من أن ندع أنفسنا تبعدها ميولنا ، لانه فى كلتا الحالتين نقتفى بجد أثر فكرتنا الاخيرة ، وهذه الفكرة الأخيرة ضرورية جداً ، فلماذا أفعل ما تمليه على هذه الفكرة ؟ من العجيب أن الناس لا يقتنعون بمثل هذا القياس من الحرية ، أعنى بمثل هذه القوة التى نالوها من الطبيعة تخولهم سلطة فعل كل ما يختارون . إن الكواكب ليست لها من هذه القوة أى نصيب ، لكننا نملك هذه القوة ، ويدفعنا غرورنا أحيانا الى أن نعتقد أننا نملك ما هو أكثر منها فنتخيل أننا عندنا هبة الاختيار السخيفة غير المفهومة ، هبة الاختيار بدون تعقل ، بدون أى دافع سوى مجرد الارادة الحرة .

لا ! انى لا أستطيع أن أصفح عن دكتور كلارك لمعارضته فى شىء من السفسطة والمغالطة هذه الحقائق التى شعر هو بقوتها ، وانما عارضها لأنها لا تتفق مع طرقه ونظامه ، لا ! فليس مسموحا لمثل هذا الفيلسوف أن يهاجم كولينز ويعتبره سفسطائياً ، بتغييره وجه المسألة ، وعتبه على كولينز بقوله أن الانسان ليس الا « عاملا ضروريا » فسواء أكان عاملا أو صابراً ، فما معنى هذا ؟ .

إنه يعتبر عاملا عند ما يتحرك من تلقاء نفسه ، متطوعا ، ويعتبر صابرا عندما يتقبل الافكار ، ولكن ماذا يفيد الاسم للاشياء ؟ ان الانسان معتمد على غيره فى كل شىء اذ لا يمكن استثناؤه من غيره من الكائنات الأخرى .

لقد كانت روح الواعظ صموئيل كلارك تكبح وتقاوم روح الفيلسوف فيه ، ولهذا فانه كان يميز الضرورة المادية من الضرورة الادبية ، ولكن ماهى الضرورة الادبية ؟

يلوح لك أن ملكة من ملكات انكلترا اللاتى تقام لهن حفلات تتويجهن فى الكنائس ليس محتملا أنها تخلع ملابسها الرسمية ثم تلقى بنفسها عارية على المذبح ، لكن مغامرة شبيهة بهذه ، تحكى عن ملكة الكنغو .

فالذى نستنبطه من هذه الحادثة ، أعنى ما نشعر بأن ملكة الكنغو فى حاجة اليه ، هو بالضبط ما يسمى بالضرورة الادبية ، ولو أننا تعمقنا ، لوجدنا أن الضرورة الادبية هى ايضاً ضرورة مادية ابدية مندمجة فى الاصل مع تكوين الاشياء .

ان هذه الملكة تعتقد انها ليست مذنبة بعملها هذا ، وهى متأكدة من عقيدتها هذه بمقدار ماهى متأكدة من أنه سيأتى يوم تموت فيه .

فالضرورة الادبية مظهر ، لان كل ما يعمله الانسان ضرورى ، وليس بين الضرورة الادبية والحظ وسط ، وأنت تعلم أنه لا يوجد حظ ولكن لماذا كان كل ما يحدث ضروريا ؟

لكى نسهل المسألة أكثر من هذا نقول إنه قد عمل تمييز بين الضرورة وبين الاكراه ، فالاخير فى الواقع ليس الا الضرورة نفسها ، لكنها ضرورة مرئية ، أما الضرورة فهى الاكراه غير المرئى .

وعلى هذا فان ارشميدس لم يكن مضطراً أن يبقى فى غرفته اذا أغلقت عليه ، لانه كان منهمكا جدا ومشغولا ببحث إحدى المسائل ، ولان فكرة الخروج من الغرفة لم تطرأ له .

ان الجاهل الذى يتبع هذه الطريقة فى التفكير ، لا يستطيع أن يستمر عليها ، فيطول به الوقت حتى يجد نفسه مضطراً الى التسليم

حفـــــلة تكريم كبـــــ[ار مو]ظفين المحــــالين الي المعاش

في يوم الثلاثاء ٢٨ ينايرسنة ... بفندق الكونتننال

الازياء الحديثة — فستان بديع ممتاز من الدنتلة أزرق اللون له ذيل حريرى مصنوع على شكل شبكة ويلاحظ القارىء انه توجد على الفستان قطعة من الحرير مصنوعة على شكل أشعة الشمس المشرقة.

الازياء الحديثة — فستان جميل من القطيفة السوداء تزينه صفوف من عقود من اللؤلؤ الابيض وقد أمسكت لابسته بين يديها مروحة تزركشها قراشات قرنفلية اللون



منظر ... [ال]حفلة ...

مؤتمر الفلاحين في موسكو: صوت من الاقاليم — صورة أحد القرويين الذين انتدبوا لحضور مؤتمر الفلاحين في موسكو، وهو يبدو في الصورة كأنه يعبر عن مطالب الفلاح بصوته القوى!



الطبقات الارستقراطية والمسرح: الانسة شتيفى فون بيسنج، ابنة الحاكم الألمانى فى بلجيكا وقد نالت شهرة فائقة فى عالم التمثيل فى برلين.

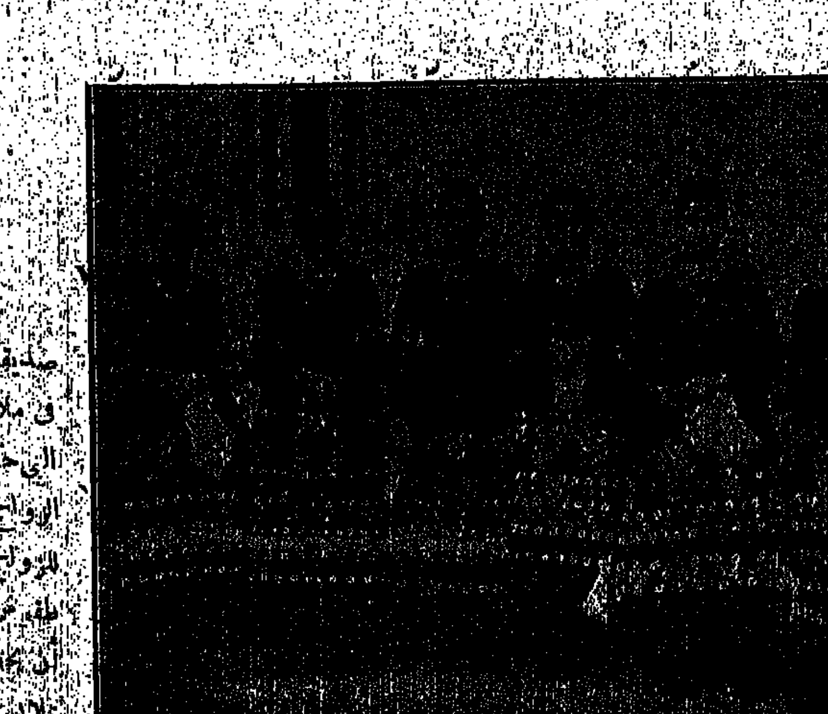






تقاليـــد ...

... آنسات من صديقات العروسين في ملابسهن الوطنية التى حضرن بها حفلة الزواج. ولا احطاء للزواج في هذه البلاد ... أن يحضر المدعوون ملابس خاصة ...



أشهر الكتب الخالدة

الكونت دي مونت كريستو

للروائى الفرنسى الكبير اسكندر دوماس « الاب »

(تلخيص الاستاذ زكريا عبده)



اسكندر دوماس الكبير

موهبتان يلاحظهما من يقرأ لدوماس الأب، موهبة السرد التفصيلى بأسلوب سلس شيق جذاب، وموهبة التصوير بالالفاظ، حتى ليخال القارىء أنه لا يقرأ سطوراً مكتوبة، بل يرى صوراً حية تتحرك فى مخيلته.

وأشهد أن هاتين الموهبتين لا يمكن أن يشعر بهما القارىء بوضوح وجلاء إلا فى هذه الرواية التى نلخصها هذه المرة، كصورة وافية للقصص الطويلة التى امتاز بها كتاب فرنسا فى القرن الماضى.

وهذه القصة ليست جديدة على قراء العربية، شأن كل قصص دوماس الكبير، فهى قد أخرجت على المسارح المصرية، كذا عرضت فى دور السينما هنا، أعنى أنها مشهورة ومعروفة. لكن هوراس يقول: «ان القراءة التى نمر منها الالذاذ مرة، يزداد سروره منها حتى ولو كررت عشر مرات». ولهذا فانى ما أظن أن مللا أو سآمة ستصيب القراء فى اطلاعهم عليها.. واليكم ملخصها:

تخبرنا القصة بأن ادمون دانتيه، الشاب الملاح، وقع فى قبضة رجال الشرطة، ليلة كان يحتفل بزواجه، بتهمة انه عميل لنابليون، وكان قد دبر هذه التهمة ضده، منافس له حقود وغيور، ولقد نجحت تلك التهمة المزيفة، فنفى أدمون الى سجن حصن « شاتو ديف »، حيث قضى من عمره بضع سنوات أحيانا فى يأس كامل، وأحيانا أخرى فى ثورة وهياج..

وفيما هو جالس فى غرفته بذلك السجن، فى ذات ليلة، حدث أن سمع دقا على جدار غرفته — اذ كان السجين المجاور يشق لنفسه طريقاً تحت الارض يهرب منه — ولم يمض وقت طويل حتى اتصلت الغرفتان بنفق تحت الارض، يختفى طرفاه خلف فراش كل من السجينين.

أما ذلك الزميل فكان رجلا مسنا، هو ...

الحادثة أن يد الموت تقترب منه، فترك لادمون ورقة بالية، تحوى سر كنز ثمين مخبوء فى كهف بجزيرة مونت كريستو المهجورة.

وتستمر القصة، فنعلم منها كيف هرب أدمون، بعد موت زميله، وكيف امتلك الكنز المخبوء، وكيف آلت اليه ثروة طائلة، أدهش بها العالم تحت اسم «الكونت دى مونت كريستو» وأخيراً تبين لنا القصة كيف انتقم من أعدائه..

ولعل أحرج مأزق صادف أدمون هو هربه من الحصن. وقد وصف دوماس ذلك الهرب، فأبدع، حتى إنى آثرت أن أترجمه للقراء، ارضاء لشوق يتملك النفس لمعرفة طريقة النجاة، وتبيانا لأسلوب المؤلف. فهذا الفصل الذى سأترجمه، سيكون اذاً كانموذج لكتابة دوماس، وسيجد فيه القارىء، مؤكداً، من المهارة فى تفصيل الحوادث وسردها، والابداع فى صوغها، بشكل مؤثر، جذاب، مايؤيد ماقلنا فى صدر هذه الكلمة عن موهبة دوماس الكبير.

« . . . وفى احدى الليالى، قام أدمون فجأة من نومه، معتقداً أنه سمع احد الناس يناديه، فنقل فراشه من مكانه، وسحب الحجر الكبير، ثم اندفع فى الممر تحت الارض، الى أن وصل الى نهايته...

وعلى ضوء المصباح المرتعش الضعيف — الذى تكلمنا عنه — رأى أدمون القسيس العجوز، شاحب اللون، لكنه كان ما يزال مستقيما، ممسكا بقضيب السرير، مقطب الوجه، تعلوه تلك العلامات المخيفة، منذرة إياه، بخطورة حاله، وخاصة بعد أن عرف ما تدل عليه، حينما لاحظها للمرة الاولى.

فلما أن وجده هكذا صاح الشاب:

— أوه، لقد أنقذتك ذات مرة، وسأنقذك أيضا مرة أخرى!

ثم رفع خشبة الفراش وأخذ من تحتها قنينة، مازال ثلثها مملوءاً بالسائل الاحمر وقال:

— أنظر ... ! فها هى ما يزال فيها شىء من ذلك الشراب الشافى.. أسرع! أسرع! قل لى ماذا يجب أن أصنع هذه المرة؟ هل ثمة آية تعاليم جديدة؟.. تكلم صديقى فانى أنصت اليك مصغيا!

أجاب فاريا وهو يهز رأسه!

— ليس ثمة أى أمل.. مونت كريستو لا تنس مونت كريستو.

وسقط فى فراشه فى الحال

أما أدمون، فانه فتح فم القسيس، دون أن يجد مقاومة منه كلدى قبل، وعد واحدة بعد الاثنتى عشرة القطرة التى أنزلها فى فم القسيس ثم جعل يلاحظ ماله

صار ساعة ثم ساعة ونصف ساعة، وأدمون منحن طول كل هذا الوقت، فوق صديقه، واضعاً يده على قلبه. وأخيراً شعر بجسمه يبرد تدريجيا، وبقلبه يضعف نبضه ويخف الى أن امتنع فى النهاية، اذ وقف القلب عن آخر حركة له، أما الوجه فقد مال لونه الى الشحوب والزرقة وأما العينان فقد بقيتا مفتوحتين، انما كانت تعلوهما غشاوة فى تلك اللحظة، ذلك لأن فاريا قد مات!

كانت الساعة وقتئذ السادسة من الصباح، وكان الفجر فى طريقه يلوح، وقد نفذت أشعته الضعيفة الى الغرفة فتلاشى أمامها ضوء المصباح الضئيل العديم الجدوى.

عندئذ أطفأ دانتيه المصباح، ثم أخفاه بحذر. وذهب الى الممر السرى، وحاول بقدر المستطاع، أن يقفل مدخله بالحجر الكبير، بعد أن دخل، لأن فى ذلك الوقت كان موعد الحارس يأتى يمر فيه، كعادته، لغرفة دانتيه ومنها الى غرفة فاريا.

وبعد أن مر بغرفة الشاب انتقل الى غرفة زميله البائس، وقد بلغ شوق دانتيه منتهاه، مريداً أن يعرف ما يجرى فى غرفة زميله فاريا، فانسل الى الممر السرى، ووصل نهايته فى الوقت الذى سمع فيه صيحة السجان ينادى طالبا معونة.

وعلى أثر ذلك أقبل عدد من السجانين، سمع دانتيه وقع أقدامهم تخطو بانتظام يتبعهم الحاكم العام.

ووصل الى اذن الشاب صوت ناشىء عن تقليبهم فراش فاريا، كما أنه سمع المحافظ يطلب اليهم أن يلقوا ماء على وجه الرجل، لكنه لما أن رأى ان هذه العملية لم تشف الرجل، أرسل فى طلب الطبيب.

وسقطت فى مسامع دانتيه بعض كلمات من السجانين كانت خليطا من ترحم وأشفاق مع ضحكات وحشية واستهتار.

الجنازة

فقد قال أحدهم.

— لقد راح المجنون يبحث عن كنزه، فلتكن رحلته سعيدة!

وقال آخر.

— على الرغم من ملايينه كلها، فانه لا يستطيع أن يدفع ثمن كفنه اليوم. وأضاف الى ذلك صوت ثالث:

— صحيح. لكن أكفان شاتو ديف ليست غالية الثمن

فقال أحد المتكلمين أولا:

— ربما تريد تكاليفها عن المعتاد، وبما أنه من رجال الكنيسة، فقد يعفونه بشرف الوضع فى جوال... بلى بلى. فانه سيدفن فى زقاق ولفائف فى أحد جوال بحده

وهنا تكلم أحد الحاضرين هكذا:

— وهل تكون ثمة قداس؟

فأجابه الحاكم قائلا

— لا، هذا مستحيل، لأن قسيس السجن أتى يرجونى أن أصرح له بالغياب حتى تتسنى له القيام برحلة صغيرة الى هيرايس، يستمر اسبوعا، فسمحت له بذلك اذ أن ...

القسيس المسكين لم يكن مسرعا هكذا، فلربما كانت تتاح له فرصة تقيم له فيها قداسا.

وكانت عملية وضع الجثة فى الجوال قد تمت، فالتفت الحاكم وقال:

— هذه الليلة..

فسأله أحد السجانين:

— وفى أى ساعة؟

— حوالى العاشرة أو الحادية عشرة.

ثم جعلت الخطوات تتراجع، ولوحظ تلاشى وقعها على الارض اذ هى تتباعد، كذلك سكت ازيز مفصلات الباب وصرير المزاليج، فخيم سكون على المكان أمل من سكون الموت الذى ساد كل شىء، والذى نشبت اسنانه الباردة فى كل نواحى جسم دانتيه، فجعلته يرتعش ارتعاشا.

ترك الشاب الممر ودخل غرفة صديقه. وهنالك رأى على الفراش، تضيئه الاشعة الضعيفة النافذة الى الغرفة، جوالا من الخيش الخشن. له طول ممتد، اذ كانت فيه جثة فاريا جامدة متخشبة، فهو الكفن الاخير لهذا القسيس المسكين.

عندئذ قال دانتيه لنفسه:

— وانا أيضاً سأموت فى زنزانتى مثل فاريا..

ووقف فى مكانه بلا حراك، حتى بصره جمد فى موضعه، كما لو أن فكرة فجائية طرأت على رأسه. وأخيراً رفع يده الى جبهته، مثلما يفعل مذهول، وجعل يدور حول غرفته مرتين أو ثلاثا ثم وقف فجأة أمام الفراش وأخذ يحدث نفسه:

— ولماذا لا آخذ مكان الميت؟

— ولماذا لا آخذ مكان الميت؟

ودون أن يمهل نفسه وقتا يكفى لاعادة النظر فى قراره هذا وخوفا من أن يتشعب فكره ويتشتت عن ذلك العزم، انحنى ادمون فوق الجوال المخيف، وفتحه بسكين من صنع فاريا، ثم أخرج الجثة منه، و حملها الى الممر حتى اذا ماوصل الى غرفته الخاصة، وضعها فوق فراشه بعد ان أحاط رأسها بخرق، اعتاد هو أن يضعها على رأسه، ثم أقفل العينين فغاب عنهما بريقهما المرعب، وأخيراً أدار وجه الجثة نحو الحائط، حتى لا يدرك الحارس فى أمره، لاسيما أنه اعتاد أن يراه نائما هكذا كلما مر فى المساء ليعطيه طعام العشاء. وبعد أن انتهى من هذا، رجع الى الممر السرى، ولاحظ أن يخفى مدخله بالفراش، فلما وصل الى الغرفة الاخرى أحضر إبرة وخيطا من خيش له به علم، وخلع ثيابه الرثة ليوهم الناس أن الجوال يحوى لحما باردا، ثم أدخل نفسه فى الجوال وأخذ نفس الوضع الذى كان فيه فاريا من قبل، ثم خاط فتحة الجوال من داخله.

ولربما كان يستطيع الانسان أن يسمع دقات قلبه فى ذلك الوقت.. فانه كان يفكر بأنه اذا ماوضعوه فى القبر وأنزلوا التراب فوقه، فانه سيضطر الى أن يبقى فى مكانه الى أن يخيم الظلام، فيعمل على أن يخرج نفسه من دفنته تحت الاتربة.

وحينئذ الساعة التى حددها الحاكم سمع الباب ووقع أقدام صاعدة على السلم ...

مؤتمر لاهاى الثانى

مأدبة الصحافة الدولية

بقلم السائح العراقى

لم نأت هنا لنأكل ونشرب! بل جئنا لنشتغل ولنقرر مصير كل منا نهائياً !!!

لاهاى فى ١٠ يناير سنة ١٩٣٠

أقامت جمعية الصحافة الدولية فى لاهاى ... غداء شائقة دعت اليها رجال الصحافة ... جاءوا لحضور المؤتمر، وقد طابت، فضلا ... ذلك، الى بعض رؤساء الوفود أن يتفضلوا ... بضع دقائق من وقتهم (الثمين) ... حول مائدة الصحفيين ليكمل بهم سرور ... الصحفيين الذين عموا شطر لاهاى لرؤية ... وسماع أقوالهم حلوة كانت أو مرة!! ومر الوقت سراعاً وحان وقت الغداء فسرنا ... (وينبروك) الشهير، وهناك استقبلنا على ... رئيس جمعية الصحافة المسيو فيفسيلاس ... وهو يبش لهذا ويبش لذاك ويصافح ... بارقة وناعمة وخشنة، واكتمل عقد ... واذ ذاك استطعنا ان ننظر الى بعضنا ... المائدة المستطيلة التى احاطها نحو من ... المدعوين صحافى وصحافية ووزير مفوض وغير ... وكنا نلاحظ من بين الجميع المسيو تارديو ... على رجال الصحافة من وراء نظارتيه ... ولكم وددت ان أتمكن من ادراك ... هذه الابتسامة، فأن رجل فرنسا اليوم هو ... واضع ميثاق السلم فهو صديق كيلوج. ... انى لا ادرى أتروح صداقته الى ابعد ... ذلك فيجلس الى جانب (الهر) كورتيوس ... سترسمان ويبتسم له. ولكن كورتيوس ... يفهم جيداً (سر) ميثاق السلم ويعرف ... تسمية هؤلاء الذين يأسرون قلوب ... بالالفاظ الخلابة لا يأنس كثيراً من ... تارديو أو سنودن أو جاسبر. على انه، حبا ... خاطر الصحافيين، حضر الحفلة واضطر ... بجانب تارديو !!!.

وكان المسيو جاسبر رئيس المؤتمر قد أمر ... الصحفيين (بنكاته) و (وفكاهاته)، وأؤكد ... هذا الرجل لو لم يسعده الحظ فيصل الى ... الحالية من الجلوس فوق أعلى مرتبة يشتاقها ... فى هذه الحياة لاستطاع ورب الكعبة ... (فواكه) وفكاهات ويكون الاقبال ... اقبالنا على استماع كلامه ذى المعانى ...

... سنودن فقد جلس تماما أمام الهر ... فهو يقابل (الفار) والهر، أو بعبارة ... تارديو وكورتيوس وللقراء أن يطلقوا ... لمن يشاءون من الاثنين!! .. ومن جملة من (شرفونا) بحضوره الكونت ... وبوروف البلغارى وشوبر ... وتسكوف الايطالى واداتشى اليابانى ... الرومانى وبنيس الجيكوسلوفاكى ... المصرى وولسون الامريكى ... (المرحوم) ...

... السادة صحافة الحالية لأن جاء ...

يقرب هذه الشخصيات جنبا الى جنب يدل على رفع (الكلفة). وقف المسيو روى فان بيرنيبروك رئيس الوزارة الهولاندية وطلب من حملة الاقلام أن يسمحوا له بالكلام، فرحب برجال الصحافة باسم الحكومة الهولاندية ورجا أن تكون ضيافة الحكومة قد استطاعت أن تسهل لهم وسائط الراحة والهناء، وقال «كيف لا نسمى لراحتكم وانتم الواسطة التى تربطنا مع الشعب». فلقد أظهرتم دائما أنكم تسمون لاظهار الحق ومساعدة الضعفاء، فأنا أود لكم مقاماً سعيداً فى عاصمتنا وأرجو ألا يضن عليكم (ساداتنا) بالتصريحات، وأشار الى رؤساء الوفود الذين حدجوه بنظرة (تحد) واستنكار، ولكن المسيو أوديتج رئيس جمعية الصحافة تمكن من انقاذ الرئيس الهولندى من موقفه وراح يمتدح حسن استقبال الحكومة الهولندية ويثنى على همة رؤساء الوفود الذين لم يضنوا على رجال الصحافة بشىء بل صرحوا بأكثر مما يستطيع صامت أن يقول ...

وهنا حصلت وشوشة وبدأ الهمس واللمز، ووقف المسيو سان بريس مراسل الجرنال الباريسية وصاح أشرب نخب السلم، فوقفنا جميعا. على ان المسيو تارديو أشار الى المراسل بكأسه (علامة الانصات) وقال:

لم نأت هنا لنأكل ولنشرب، كلا! بل جئنا لنشتغل ولنقرر مصير كل منا، لذلك أرجوكم أن تنشروا ما يحدث بامانة ونزاهة وأن تعملوا على وصل ما انقطع لا ابعاد الشقة. لقد كنت صحافيا فأنا أعرف مهنتكم، ومهما ... وسخرتم منا فاننا نعترف بكم.

ان الامة التى أمثلها هاهنا قد أعطت كل ... تملك للحصول على السلم. ان فرنسا بحالة جيدة فلقد أدهشت العالم بنهضتها المالية الجديدة فنحن الان نسير للوصول الى غايتنا الاخيرة وهى السلم وكما يقول الانكليزى up the lon run

أى نسير بتؤدة فى هذا السباق الطويل، وكان سنودن، معذرة! المونورابل فيليب سنودن ينظر الى تارديو ويده ترلمس بكاس الويسكى ويظهر ان جملة up the long run قد بعثت فيه روحا جديدة فاعتدل وتنحنح وتكلم بلهجة آل يوركشير الذين يعدون أنفسهم من أفصح سكان بريطانيا العظمى والصغرى:

— لقد قضيت أربعين عاما كصحافى ولكنى أؤكد لكم أنى لا أستطيع أن أضبط نفسى أمام جمعكم هذا الذى يمثل الصحافة. ومهما كان الامر فانى أريد أن اقدم لكم خدمة تشكروننى عليها وهى ماتسمونه (تصريحا هاما). ولكن لسوء الحظ يتعذر على ذلك الآن لوجود زملائى هنا وأنا لا أريد أن أمتر شبهة أحد. ولكن الشىء الوحيد الذى أستطيع أن اقوله لكم الآن هو المباح لكم بأن نأكل جيداً كما أكلنا ...»

حقا انه مراوغ ماهر، فأنا أسميه (ثعلبا) كما يسمى الفرنسيون كما نسو (النمر) ...

— إن الشعب الالمانى لم يزل حتى هذه الساعة تحت الضيق المالى الذى ينذرنا بالويل والخراب، ولربما يضعف المستقبل شيئاً من تعنت حكومات الحلفاء فيرفعوا عنا الخناق ويسهلوا علينا التنفس، واذ ذاك نتطرق فى مسألة الدفع، ان باستطاعتنا أن نقول أننا (سندفع) ولكن من يضمن هذا القول؟ وهل كلمة (سوف) معمول بها دائماً؟

إن الضعيف الذى لامال لديه يستطيع أن يقول (سوف) أدفع، وقد تصدق (سوف). وعلى كل حال فأننا لا نريد ألا ندفع، كلا بل انما نود أن يكون الدفع تدريجياً وحسب حالة البلاد المالية. وما أن انتهى (الهر) من خطبته حتى طلب المسيو هيانس وزير خارجية البلجيك ورئيس الحفلة من المدعوين الجلوس وإذ ذاك بدأ المضغ والقطع وهكذا انتهت الحفلة..

جمجمة بلا طحن

ان ردهة الصحفيين فى (قصر بينهوف) الدار التى عقد فيها مؤتمر لاهاى الثانى أصبحت ملأى بالمراسلين وهم يمثلون أمماً عدة أوربية وغيرها، وقد جاء هؤلاء خصيصاً لالتقاط الاخبار واصطياد الحوادث من منابعها الاصلية. ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه.. فأن هذه المنابع قد جف ماؤها وأصبحت (يابسة) لا تؤثر فيها (التوسلات) والمقابلات. لا ندرى ما الذى نكتب عن مؤتمر لاهاى هذا، فأن توالى الاجتماعات وكثرة المحادثات والمفاوضات والمقابلات فيما بين (الهررة) والقطط والسنورات لم تأت بنتيجة يستطاع بها أنارة هذه الظلمات التى يتعثر فيها هؤلاء الناس الذين أصبحوا يتخبطون فى اقوالهم وحركاتهم. ولعمرى لا أدرى لماذا كلفوا أنفسهم المجىء الى هنا وحملوا حكوماتهم مصاريف السفر وأقلقوا الحكومة المحلية فى سيرهم وتنقلاتهم،

ان من الصعب اتفاق الهر والفار، لأن العداوة متأصلة فيهما، ولهذا فتى تم الاتفاق فيما بينهما إذ ذاك يستطاع القول من أن التفاهم سيحصل فيما بين فرنسا والمانيا. يقول الدكتور كورتيوس: إن حكومته لا تسمح له بالموافقة على الارقام التى قدمها المسيو تارديو وانه قدم المذكرة الثانية الى الخبراء الماليين للفحص، وان الخبراء لا يستطيعون البت فى هذا الامر من غير حضور الدكتور شاخت وان الدكتور سوف يحضر.

ويعترض المسيو تارديو على هذه المماطلة ويصر على وضع حد لمثل هذه الالاعيب الصبيانية. وهكذا انتهى يوم ١١ من غير نتيجة !!!

يوم ١٢ يناير سنة ١٩٣٠

فنزلوس !!!

انكشف الستار وأطل على جمهور الصحفيين وأعضاء المؤتمر المسيو فنزلوس اليونانى صديق لويد جورج، فان رئيس الوزارة اليونانية الجديد قد ظن أن مؤتمر لاهاى مؤتمر (فرمايل) لان جاء الى هنا ليظفر بشىء من هذه (القسمة)

أو كما يعبر عنها السياسيون (الاصلاحات) أو التعويضات! ولقد لاحظته طويلا ولكنه قد اعتصم بحبل السكوت، فالسكوت من ذهب! وكان سنودن يبش فى وجهه من آن لآخر كأنه يسلى طفلا تركته أمه. وفى الحقيقة فان فنزلوس يرى فى ابتسامة سنودن تسلية عظمى، لأنها تذكره بابتسامة لويد جورج! .

رؤساء الوفود

سافر عشية الامس المسيو بريان الى باريس بطريقه الى جنيف ليحضر اجتماع عصبة الامم الثامن والخمسين، ويسافر بعد ظهر اليوم الهر كورتيوس رئيس الوفد الالمانى والمسيو تارديو والمستر هندرسون والمسيو زالسكى وزير خارجية بولونيا والسنيور كراندى وزير خارجية ايطاليا والبارون أداتشى، ويقصد هذا الجمع جنيف والمقول انهم سوف يتذاكرون فى مسألة المؤتمر البحرى الذى سوف ينعقد فى لندن يوم ٢٨ الجارى.

وهكذا فان مؤتمر لاهاى قد أصبح بعد ذهاب هؤلاء الرؤساء ناقصا، حتى انه أخذ يفقد منزلته عندما ترك بريان مقعده ولما أصبح كرسى كورتيوس خاليا. فان الشخصيات لها تأثير كبير فى مثل هذه المؤتمرات، فالحديد الا الحديد. أما الآن فمن يستطيع أن يقف أمام سنودن؟ ومن يقدر أن يقنع جاسبر أو ينصت لخطاب بوروف البلغارى. ومهما كان الامر فان قطع الأمل لاخير فيه، وما للباقين سوى الصبر فان الايام تذهب سراعا والوقت هنا حبر على ورق..

موعدنا جنيف   لاهاى: السائح العراقى

مبحث علمي

حجاب ميكودرميكي

[illegible]

سمعت من بعض قراء الاهرام أنها كتبت على صفحاتها الغراء تحت هذا العنوان عبارة لفتت بها نظر المشتغلين بدرس العلوم الميكروبيولوجية الى فحص كنه هذا الحيوان الذى ذاع خبره وانتشر استيلاده بين أهالى الاسكندرية ومنازلهم حتى إنهم أتخذوا افرازه كدواء يشفى من الأمراض. ولما كنت مشتغلا بالعلوم الزراعية وملماً بعلم الميكروبيولوجى — وهو أحد فروع العلوم الزراعية، فقد رأيت قياماً بالواجب وخدمة للعلم أن أشرح حقيقة هذا الحيوان المزعوم شرحا وافيا كى يستفيد من ذلك كل محب للأطلاع من أهل هذا الفن واظهاراً لحقيقة هذا النوع من الطفيليات وقد ثبت ظهوره حديثاً بالقطر المصرى.

(الخمائر الخلية)

هذه المشروبات الروحية أو الكؤولية كالنبيذ والسدر (عصير انتفاح الخمر) والبيرة الخ يتكون على سطحها حجاب ميكودرميكيا (ميكروبيا) فاذا كان المحلول موافقاً ودرجة حرارته ليست منخفضة كثيرا كان تكون هذا الحجاب سريعاً وبتكونه تتكون الاجسام الاتية: مياه — حامض الكربون — حامض الخليك، وهذا الحجاب إما أن يكون سميكا أو رقيقاً باهت اللون أو فاتحه، وعند فحصه بالمجهر (الميكروسكوب) يمكن مشاهدة نوعين من الباكتيريات الحية احدها كبير يشبه كثيرا خميرة الكؤول فى شكله وقطره وتشعباته. وهذا النوع يسمى باللاتينية (ميكودرمه فينى) أي زهر النبيذ والآخر أصغر منه كثيراً ويسمى بالباكتيرية الخلية واسمه اللاتينى (ميكودرمة أستى) وهذا النوع الأخير يهم كثيراً صانع الخل لأنه يكون مرض النبيذ ويمكنه استعماله فى صناعة الخل. وزيادة على ماتقدم فان الميكودرمه فينى تساعد الاخرى فى تحويل المواد الكؤولية الى حامض الخليك بأن تتلف المواد العضوية الموجودة بالسائل، لذلك تسهل لها [illegible] آثارها، وهذا النوع الاخير كثير الانواع.

وسنتكلم على أنواعه فيما بعد وقد سبق أن وصفه (برسون) فى سنة ١٨٨٢، وهذه الانواع جميعها يمكنها تكوين حامض الخليك بجانب الكؤول وتظهر على أشكال عضوية متسلسلة عرضها من ½ ميكرون (μ) الى واحد ميكرون والميكرون يساوى واحدا على الف من المللى متر، وتتكاثر بطريقة التجزؤ. واليك رد الفعل الذى يمكن أن يتكون حسب الظروف ومن ذلك ربما تكون:

أولا — مياه والدهيد عادى وفى هذه الحالة نقول أن التجزؤ غير تام لعدم وجود مقدار كاف من الاكسيجين.

ثانيا — مياه وحامض الخليك وفى هذه الحالة يكون التجزؤ تاما بالنسبة لوجود كمية كبيرة من الاكسيجين الذى يسبب تجزؤ الكؤول وتحويله الى حامض الخليك، وان لم يوجد الكؤول فحامض الخليك الذى تكون يكون عرضة للتلف فيكون رد الفعل فى هذه المرة مرتين من المياه مع مرتين من حامض الكربون، لذلك يحق القول بأن هذا الميكروب هو من النوع الهوائى.

التكاثر

من السهل تكاثر هذا الميكروب فى جميع البيئات طبيعيا كان أو صناعيا. ولتكاثره يمكننا اتباع الطريقة الآتية: يستحضر برميل سعته من ٢٠-٢٥ لترا ويعمل فى أسفله صنبور «حنفية» من الخشب وفى أعلاه تعمل فوهة قطرها من ٤-٥ سنتى متر لتسمح بمرور الهواء مع وضع أنبوبة على قمتها قمع من الزجاج تمر من هذا الثقب الى أسفل البرميل لتسمح بمرور الهواء وكمية النبيذ أو بكمية غيرها من السوائل الكؤولية التى لابد من اضافتها لتعوض ما تحول من الكؤول الى حامض الخليك بعد سحبها، وذلك من وقت لآخر كما هى النظرية المتبعة فى طرق صناعة الخل وبعد ذلك يغلى ٦ لترات من الخل وتوضع ساخنة فى البرميل المجهز هكذا. والسبب فى غليان هذا الخل أن تتولد الباكتيريات فوق السائل بشكل حجاب لا وسطه وفى اليوم التالى يضاف ثلاثة لترات من النبيذ، وبهذه الطريقة ترتفع حموضة النبيذ فلا تتولد (الميكودرمه فينى) بمفردها بل مع الاخرى (الميكودرمة أستى) وهذه هى طريقة تجهيز السائل المراد عمله خلا، فلاينقصنا غير مساعدة توليد الخمائر الخلية على سطحه وذلك بتعريضه الى الهواء أو بوضع كمية صغيرة من الخل: فلم يمض بضعة أيام الا ونشاهد تكوين الحجاب الميكودرميكى ويستحسن وضع البرميل فى غرفة تكون حرارتها من ٢٥-٣٠ سنتى جراد مثلا فى المطبخ ولايمس مطلقا لعدم تمزيق الحجاب المتكون: أما سلطته فى التخلل فتختلف حسب رقته أو سمكه، فاذ كان رقيقا كانت قوته فى التخلل مرتفعة والعكس اذا تكون سميكا. فى حالة صيام يتولد رقيقاً جداً شفافا أو سميكا جافا باهت اللون متقلصا ولاليا. ومن الصعب جداً أن يترك نفسه ليبتل. أما فى حالة كبره فيتفتت سريعاً وأحيانا نشاهد قرصا يحتوى الرغيفة مغمورا ينمو دائما فاذ سقط الحجاب السميك فى القاع يتكون واحد غيره وهكذا، فعندما تكون هذه الحجب فوق بعضها طبقات متراصة تنتهى بأن تحل محل السائل، وأحيانا يمكن فى هذه الحالة ثقب البرميل بدون أن نشاهد خروج أى جزء من السائل. فهذه هى علامة التلف التى تطرأ دائما فى النوع المسمى (باكتيريوم جزيلينوم)

فهذه الميكروبات اذا وضعت فى وسط يابس وفحصت بالمجهر شاهدنا اشكالا مختلفة، فمنها ما يأخذ الشكل الاسطوانى ومنها مايكون مسنن الاطراف ومنها ما يأخذ شكل النجوم، وأحيانا نشاهد اشكالا مستطيلة وكذلك عند النوع المسمى (باكتيريوم باستوريانوم) عند ماينمو مابين درجة ٤٠ — ٤٥ سنتى جراد يمكننا مشاهدة شكل النوط الحديدى (السلسلة) قطر الواحدة منها ميكرون ونصف ميكرون. أما الاتساع فيختلف باختلاف النوع وكذلك باختلاف البيئات المعدة لتكاثره. لذلك يمكننا الحصول على اشكال منفوشة ليفية متشعبة تبلغ سعتها من ١٥٠-٢٠٠ مكرون وهذه الانواع الاخيرة متساعدة باضافة كميات كبيرة من الملح ومن الحامض أو من الكؤول والباكتيريات الخلية عموماً لم تكون غلاف البنين الباطنى ولم تذب الجيلاتين الا أن التحريك موجود فى بعضها إذ يوجد فى النوعين الآتين (باكتيريوم اسيتيجونوم) و (باكتيريوم اكسيدان) وقد تموت هذه الباكتيريات الخلية فى الحالة الرطبة وذلك عند ماتكون مغمورة فى السائل الرطب بدرجة ٥٠ — ٥٥ سنتى جراد ولكن يمكنها أن تعيش بدرجة ١٠٠ سنتى جراد فى حالة الجفاف.

وحيث إن طرق صناعة الخل تنقسم الى قسمين، فمن المهم معرفة أنواع الباكتيريات، لذلك يمكننا أن نقسمها الى قسمين قسم يعمل فى المشروبات الكؤولية (كالنبيذ والسيدر والبيرة) وقسم آخر يشتغل فى الفضلات التى تترك بعد عملية التقطير.

ومن المهم ذكر ثلاثة أقسام تلى القسمين السابقين وسأدرج ثلاثة أنواع لكل قسم منها مع ذكر قسم رابع وخامس.

القسم الاول — (باكتيريات الخل للبيرة) من أهم هذه الباكتيريات (باكتيريوم أستى) هانز و (باكتيريوم باستوريانوم) و (باكتيريوم كازنجيانوم)

الأولى — يمكنها أن تحتمل لغاية ١١ فى المائة كؤول وتعطى ٦ر٦ فى المائة حامض الخليك.

الثانية — يمكنها تحتمل ٩ر٥ فى المائة كؤول وتعطى ٢ر٦ فى المائة حامض الخليك.

الثالثة — تحتمل ٥ر٩ فى المائة من الكؤول وتعطى ٧ر٦ فى المائة حامض خليك

القسم الثانى باكتيرية الخل للنبيذ

أولا — أذكر باكتيريوم أوليانس ذات الحجاب الرفيع أحيانا يكون لونه ورديا مع ميله عند تكونه فى تسلق حافات البرميل وطوله من ٢ر٤-٣ ميكرون وعرضه من ٣ر٠-٤ر٠ ميكرون ويمكنه أن يعطى ٩ر٣ فى المائة حامض الخليك عطرى الرائحة فاتح اللون

ثانيا — (أسيتو باكتيريوم ملينوم) وهذا النوع سميك جدا يحتمل من ١٠-١١ فى المائة كؤول ويعطى ٧ر٥ فى المائة حامض خليك.

ثالثا — (باكتيريوم اجزيليو نوئيد) يعطى ٨ فى المائة حامض خليك

القسم الثالث باكتيرية خلية ذات التخمر السريع

وهذا النوع يمكنه أن يعطى حجابا دقيقا جداً يسهل قطعه ويعطى حامض خليك بدرجة مرتفعة من هذا النوع يمكننى ذكر ثلاثة منها

أولا — (باكتيريوم شوتز نباخى) من ٦ر١-٦ر٣ ميكرون طولا ومن ٣ر٠-٤ر٠ عرضا يتكون بدرجة ٧-٣ر٧ سنتى جراد يمكنه أن يعطى من ١١ — ١٤ فى المائة حامض الخليك.

ثانيا — (باكتيريوم كورفوم) ذات الحجاب الرفيع من السهل تمزيقه.

ثالثا — (باكتيريوم استيجونوم) وهى خلايا صغيرة مستديرة ليست متسلسلة تعطى فقط ٣ فى المائة حامض خليك. وبما أن درجة تجزؤها مرتفعة فان خلها المتولد له رائحة غير مقبولة.

القسم الرابع — باكتيريات خلية تعطى حامض الخليك بدون وجود الكؤول وذلك عن طريق وسائلها التخللية ضعيفة جداً. واليك نوعين (باكتيريوم اكسيدان) (وباكتيريوم اندوستريوم)

القسم الخامس — بعض من الخمائر الابلية اذا تكاثرت بتعرضها الى الهواء يمكنها تحويل السكر الى حامض الخليك بنسبة ٥٠ فى المائة لذلك يمكننا أن نقول بأنه من الخمائر صنع الخل من اللبن.

تأثير الباكتيريات فى الكؤول

جميع الباكتيريات الخلية يمكنها تكوين حامض الخليك بنسب مختلفة وذلك بجانب الكؤول كما ذكرنا.

تأثير الباكتيريات فى السكر

يتحول السكر الى حامض ولكنه بالنسبة لوجود أنواع عدة من السكر وجب أن أبين ماهو قابل للتحول الى حامض وما هو غير قابل للتحول الا تحت عوامل سيجىء الكلام عنها. واليك أنواعها

أولا — سكر الجلوكوز وهذا النوع يتحول الى حامض الجلوكونيك.

ثانيا — سكر الجالاكتوز يتحول الى حامض الجالاكتونيك.

ثالثا — الانواع الآتية: كالليفيلوز — السربوز المالتوز — (الساكاروز أى سكر القصب والبنجر) (اللاكتوز أى سكر اللبن) فلا تتحول هذه الانواع أصلا الا أن مركبا من الليفيلوز والجلوكوز ربما تحول الى حامض أما سكر القصب والبنجر فهذا النوع لا يمكن تخمره الا اذا تحول الى سكر الجلوكوز وهذا التحويل اذا لم يتم بواسطة أحماض كحامض الترتريك مثلا فانه يتم بواسطة الخمائر نفسها حيث أن الخمائر نفسها تحتوى على نوع خميرة سائلة تسمى (سكرات أو ايوزان) قادرة على [تحويل] السكر العادى الى جلوكوز ومنه الى [حامض ا]لكوزليك

وقبل أن أتمم الكلام على تأثير الباكتيريات [على] السكر أقول أن (وارمان) اعترف بأن [الباكتير]يات الخلية تسبب [illegible] من البيرة إما [illegible] (زمو فول) نسبة للحرارة أو [illegible] نسبة للبرودة، واعترف أيضا [illegible] من السكر العادى الى حامض الجلوكونيك بجانب الجلوكوز.

هذا ما عن لى ذكره بهذا الصدد ولم يكن هذا الحيوان المزعوم بالشيء الغريب ووجوده ولكنه معلوم معروف من بين بقية الباكتيريات. ومن رأى من حضرات القراء الفنيين أكثر من هذا فليتفضل بالحاقنا بما يجود به [illegible]

[illegible]

الموسيقي الخالد

شـــوبين

مأساة النبوغ والحب

للأستاذ محمود عزت موسى

كل ناحية فى تاريخ شوبين خالدة: طفولته، [شبا]به، غرامياته، موته، كلها خالدة لأنك تلمس [فى] كل معانيها الخلود. خلود الشاعرية التى كانت [تسيل] على كيانه الرقيق وجسمه النحيل ووجهه [الجميـ]ل فيبعثها من بين أصابع البيان نغمات [وأ]نات قد أذيبت فيها معانى الجمال الروحى [و]غرام الذبيح!

أجل. إن موسيقى شوبين من أنات قلبه [الممز]قة فيها المناجاة الرقيقة، والحزن الدفين، [و]سرور الظامئ، والحياة العاصفة.. هذا يجعلك [لا] ترى فيه موسيقياً فحسب بل شاعراً تمضى [عو]اطفه سيالة بين نغمات البيان نابعة من قلبه، كالذبيب الشاعر آلامه فى قصائده.

ولد فردريك فرانسيز شوبين فى (زلازوا ولا) [بال]قرب من وارسو فى ٢٣ فبراير عام ١٨١٠ [وتخ]تلف بعض المصادر فى تاريخ ميلاده، وهناك [مص]ادر تحدده فى يوم أول مارس عام ١٨٠٩) [م]ن عائلة متوسطة فرنسية الاصل.

كان شوبين طفلا رقيقاً محبوبا من والديه [تلو]ح على وجهه آيات الوداعة واللين والجمال [و]نشأ منذ نعومته ميالا الى تفكير هادئ [و]غاب فى نفسه كلما خلا بين مجالى الطبيعة [يـ]نتشى لذاذاتها وهى لم تزل بنت الاهاب، [و]أوجد حبه للطبيعة تلك العاطفة الشعرية [ا]لتى لونت حياته بعد ذلك والتى تلمسها فى [مقطو]عاته.. وكان يبدو نحيفا لا تملؤه الحياة [...]غير مكتمل الصحة فى بداءة عهده.

[و]ظهر شغف شوبين بالموسيقى فى حداثته [فنـ]ما برعاية زيفنا معلمه الأول، ولكن عبقرية [شوبين] كانت قد اشتعلت دون أن يعرفها هو [و]لا دون أن يلتفت اليها فى بداءتها رفاقه. [و]كان شوبين إذذاك فى التاسعة من عمره حين [أخذ] سكان وارسو يتناقلون بينهم الاحاديث [عن] الطفل النابغة.. وكان من بواكر الاعجاب به، [أن] أهدت له مدام كاتالانى ساعة صغيرة.. [تقدي]را لاعجابها به.. أو تحت جاذبية الشعر [الذى] كانت تفيض من وجهه الجميل وقد ذابت [...]رقيقة.. وموسيقاه الرائعة التى كان [...] حتى ولو حطمت قواعد الفن التى رسمت [...]!

[ثم] الامير انتوان رادزيول بأمر الموسيقى الطفل. وكان انتوان مشغوفا بالموسيقى وبأعلامها فأمر بارساله الى كلية وارسو حيث تلقى أكثر وأحسن دروسه وحيث بدأ الناس يشخصون اليه!.. ورأى جوزيف السنر مدير كونسرفتوار وارسو طلائع النبوغ فيه فقربه منه وما لبث حتى أضحى أعز تلاميذه وكان شوبين إذذاك فى سن السادسة عشرة.

وكانت أخلاق شوبين النبيلة التى أكسبته حب جوزيف ألسنر سبباً أيضاً فى أن يعقد أواصر الصداقة مع أفراد من نبلاء وارسو. فأحلوه فى نفوسهم منزلة مرضية وأحبوا منه تلك الوداعة وأعجبوا بعبقريته الساحرة التى يزجيها إذا جلس على البيان فى حفلات الاطفال! وأضحت منازل النبلاء تتخاطفه ليغذى عواطفهم بموسيقاه. وصار النساء يحببنه لرقته ووسامته وعذوبة حديثه وعبقريته. وكان شوبين مع ذلك رضى الاخلاق وإن كانت مسحة الحزن الخفيفة ساجية على وجهه محبوبا من رفاقه وكل من يعرفه، متواضعا سامى النفس لا يستخفه المدح ولا يعروه الملل الا لماما.

أتم شوبين دروسه فى وارسو. فغادرها إلى فينا بعد أن أخلف فيها الذكريات الزاخرة عن حياته الباكرة. وكان ليسزت الموسيقى الكبير إبان ذلك فيها. وهنا تبدو لنا ناحية من شوبين فى تفهمه معنى الموسيقى. فلقد قال اذ ذاك بعد أن ألفى أنه لا يستريح كثيرا للعزف للجمهور وأن الجمهور لا يستريح له أيضاً. «إن الجمهور يخيفنى وأنفاسهم تخنقنى». ولقد صدق شوبين فى ذلك القول الذى وجهه لزميله ليسزت لأن شوبين لم يكن موسيقيا يرضى الناس بما يريدون أن يرضوا به من ألوان العبث والخلط والهياج بل كان موسيقيا دقيقا فنانا لا يألفه إلا الخاصة الذين يتذوقون معانى الموسيقى الشعرية الرائعة. وأدنى بذلك الهواة الذين يكلفون بالموسيقى عن وجدان سليم، ومنهم كون حلقة جمعت الجياد فأخذ يعزف بينهم آيات النبوغ الصادرة من نفسه وروحه، حتى أصبح عندهم «استاذاً من الدرجة الاولى».

وعاد شوبين الى وارسو فى عام ١٨٢٩ وانكب على كتابة أقوى مقطوعاته الجميلة، وشاء القدر ألا يظل بين ربوعها الا سنة واحدة ارتحل منها بعدأن يشس اليه المقام فيها، خاصة بعد أن تحطمت شكيمة بولندا فى سنة ١٨٣٠ واعتقد الكثيرون أن لا قيام لها بعد خذلانها، فعزم على مغادرتها الى انجلترا.. ولكنه لم يرحل اليها هذه المرة بل أخذ يتنقل فى ربوع المانيا وخاصة فى ميونخ.. وكان اذ ذاك قد نكب فى حبه.. فى حبيبته التى خلفها فى وارسو فأتاه خبر زواجها! زواجها الذى حطم حبه الكبير. فى قلبه الدفاق الخفاق! فسافر توا الى باريس مهيض الجناح عله يلمس فيها العزاء!

وفى باريس الساحرة تألق نجمه وعلا الى السماك! فقد التقى بأعلام الموسيقى أمثال ليسزت وبليل وكالكبرنير وفيلد وغيرهم وارتبطت بينه وبين البعض منهم أواصر صداقة وعزف بينهم فلاك مشاعرهم.. وما لبث حتى دعته الطبقات العليا ليعزف فى قصورهم.. وليحل نزيلا عزيزاً عليهم.. وكان شوبين يألف هذا الجو ويوافق مزاجه ويجد فى ميولهم اللون الذى يلائمه.

وكان شوبين يحيا إذ ذاك حياة هادئة فى شوزيه دانتين بعيداً عن مظاهر الاحتفالات وما تزخر به من عبث، قانعا بعزلته.. ولكن هذه العزلة لم تكن لتروق رفاقه فكانوا يعملون على أن يكونوا حلقة منهم — وهم من الطبقة الاولى — ليأنسوا الى شوبين حتى يفيض بنبوغه فى النغمات المنسابة من البيان.. كانوا يجتمعون حوله فى بعض الأمسية، وكلهم قد التهب ومقاً لاستماعه.. سادة وسيدات.. يقعدون فى مقاعدهم الوثيرة، حينما يرسل شوبين آيات الابداع من بيانه على ضوء مصباح خافت! وليس أجل على نفسى من ذكر كلمات جورج ساند الكاتبة الفتانة ذات العشاق.. فى الموسيقى التى كان شوبين أحد ألويتها الخفاقة، وإن كان البعض قد قدمه على الجميع! «ليس هناك فن كهذا توقظ فى الرجل رفيع الاحساس الانسانى. وتزجى أمام بصيرته جلال الطبيعة الرائع. بها التأمل. خلق الانسان الطبيعى. اضطرام الخوف وخفوق الأمل. كلال وانهيار آمالهم. وخز الضمير. العنف. الرعب. الاحتكام. اليأس. الحماس. الايمان. الجزع. العظمة. الهدوء وآلاف غيرها من الاحساسات التى لا تسمى تبعثها الموسيقى..»

فلا غرو أن تسمع عن صاحبة هذا القول جورج ساند الكاتبة الحسناء أنها علقت بشوبين وأنها أحبته فى بداءة عهدها به حبا سما الى مدارج الوفاء وأنها نقشت عن ذهنها المكتدوة بالذكريات المضطرمة كل ماتعلق به من الماضى وأحبت شوبين.. وكان حب ساند له اذ ذاك كابسم وضمتة على جراحات قلبه النغارة فبدت له ساند العبقرية فى اصطباغ كل لون الطاقة الحادة، واشتعل حبه لها فأضحت تكاد تعبده عبادة! وتناقل الناس أخبار هذا الغرام!

كان أساس عظمة شوبين نبوغه فى العزف ومداومته عليه الساعات الطوال وما حوته نفسه من رقة وعاطفية. وكان عمله المتواصل قد أنهكه حين ارتد اليه المرض الطفولة فى رئتيه الثانية وهو فى السابعة والعشرين من عمره أى فى عام ١٨٣٧ فعزم شوبين أن يبتعد الى جزيرة [illegible] بصحبة [illegible] الوليد هو واياها جميعها. وقر رأيهما على السفر الى جزيرة ماجوركا فى البحر المتوسط، وهى جزيرة صخرية غنية بنخيلها وأعنابها وبرتقالها تفيض عليها الشمس من خلال غابات النخيل فتعمم سكانها حياة وغضارة... وهناك فى فالديموزا عاشا معاً فى صومعة صغيرة يطل عليها حصن بالمر التاريخى.. ويتمتعان بأطايب الحب والصحة، وعادت لشوبين إشراقة الحياة بعد أن استمتع من موارد تلك الجزيرة الطبيعية هو وحبيبته جورج ساند التى عنيت به فى أول مقامه بالجزيرة عناية طيبة. ولكن وقت العاصفة كان قد حل.. حين سئمت هى ذلك الحب الخيالى! ومجت نفسها تلك الحياة الشعرية التى لا تلائم نفسها الملتهبة.. واستشعرت أن بينها وبين شوبين فروقا كثيرة.. شوبين الفنان الارستقراطى الشاعر!

.. عاد شوبين الى باريس بعد أن دجمت له بقايا من صحته الذابلة، ولكنه عاد اليها أليم القلب ووجيعه. فلقد طلب منها الزواج.. حتى يعيشا فى أكناف حب هادئ، وأن تنمى آراءها الفلسفية الجامحة فى سبيل اسعاد حياة حبه.. ولكن جورج ساند لم يكن يلائم حياتها الزواج لانها كانت تعتبره «شركا للرجل وضلالا للمرأة» ومذ رفضت طلبه.. انتابه أسى أقوم باقى حياته.

آلم شوبين ما لقيه من جورج ساند التى كانت قادرة على اسعاده.. ولكن المرأة التى ألفت المجتمعات لم تكن لترضى بالزواج فى سبيل الحب... وبعث الألم فى قلبه الموجدة التى تلوث مغتصبة دائما من القلوب الطيبة بحب ذبيح، فأخذ يطعن فى مذهبها واباءها...

وبدأت مأساة الحب تحطم شوبين، فى الوقت الذى كانت ترى جورج ساند فى هذا الحب «قصة استطرادية فى مجرى حياتها!» وأخذ شوبين يردد هذه الجملة فى باقى أيامه: «لقد تقطعت النياط التى تصلنى بالحياة» لأنه لمس بأنه اكبو فى حبه.. حتى ذلك الحب الذى أودعه صدر جورج ساند التماسا للعزاء من آلام الماضى... ونسيانا لحبه الذى تحطم!

وأخذت صحته تسوء ثانية وانتابه مرض صدره القديم. وما أفلحت العناية التى بذلت فى سبيل علاجه إلا قليلا حتى أضحى أصدقاؤه لايتمكنون من تمييزه الاصعوبة. وكأنه رام أن يساعد الداء على قتله أو أحس بمصيره، فعكف على إخراج بدائع مقطوعاته يودعها آيات يأسه ومرضه وذكرياته فى الجزيرة الخيالية التى كانت مبعث آماله حينا قصيراً، وأطفئ قليل الفناية بضمته.. «ولم يعتنى بها وقد خذلت أمله وحبه!» وأصبحت باريس التى كانت مسرح مجده فى الماضى كئيبة لديه. وكره المقام فيها فسافر الى لندن فى نهاية عام ١٨٤٧ رغم إلحاف أصدقائه عليه بالبقاء، ولكنه كان قد كرهها.. وعاف المقام فيها وذهب الى لندن غير آبه بجوها المطير، وكانت لندن قد استقبلته لاستقبالة.. وكان صيته قد راح يعم كل جهاتها. فمنحت له منازل النبلاء فيها.. بعد أن

القتل السياسي في الاسلام

٢ — الحسين بن علي بن أبي طالب

للأستاذ أحمد محفوظ

ورد على الحسين نبأ مقتل مسلم بن عقيل فتحير واشتد واغتة الخذلان من أهل العراق، وأراد أن يرجع بأهله وأصحابه القليلين، ولكن إخوة مسلم الذين خرجوا مع الحسين بكوا وقالوا: بعد ماقتل أخونا! والله ان لم تذهب بنا الى العراق أخذنا سبيلنا في بلاد الله، فنظر الحسين الى أصحابه وقال: مافائدة العيش بعد هؤلاء! واعتزم السير.

ونحن نقرر أن الحسين كان يجب عليه أن يتأخر بعد ان وضح له هذا الغش في مقتل مسلم، وليس ارضاء هؤلاء الاخوة بميسور، وما معنى التضحية بنساء وأولاد ورجال لشيء فات ولا يرد!

ولكن الغالب في ذلك أن الحسين كان يعتقد أن شخصيته كافية للنصر وان مسلماً دونه في هذا، كان يظن كما ظن نابليون يوم رجع من جزيرة إلبا الى فرنسا في قلة من أعوانه، وهو يعلم أن لويس الثامن عشر قد أعد فيلقا لاستقباله وأسره، ولكن اعتزازه بنفسه سهل له الاقدام لأن هؤلاء الجنود كانوا جنوده في معارك انتصاراته. كذلك الحسين كان يعتقد ذلك ويظن أن شخصيته ستذكر أهل العراق مجده وأبيه فينصاعون له.

وكان يوقن أيضاً أن أهل العراق مهما أوتوا من وحشية وغلظة لايستطيعون ايصال أى أذى اليه، وهذا أيضاً من طيبة قلب الحسين، وعدم خبرته بالنفوس، ولولا ذلك لما أقدم على المسير ونحن يعلم ان رسوله خذل وقتل.

وقد تأهب عبيدالله بن زياد ورأى الفرصة قد أمكنته من تقديم يد ليزيد الخليفة لانه كان عالماً أن في حياة الحسين خطرا على الخلافة، وأرسل جيشاً بقيادة قائد يقال له الحر بن يزيد وأمره ألا يهيج الحسين حتى يأتيه أمره، انما يكون عمله منعه بحيث لايرجع الى المدينة، سار الحر بن يزيد في عدة كبيرة حتى أدرك الحسين وأرغمه على الاقامة واصبح في يده شبه اسير.

وهنا فقط ادرك الحسين أنه أخطأ في فهم النفوس، وعرف أنه كان مخدوعا. وانك لتتبين من كلامه مع هذا القائد هذا المعنى حيث يقول له: ألم تكتبوا لي يا أهل العراق بالقدوم عليكم؟ ألم ترسلوا الي؟ فأجابه القائد: من كتب اليك ومن رجا قدومك! فأحس الحسين عند ذلك بجحود أهل العراق وخشي المغبة، وأراد أن يتفاوض مع القائد في الرجوع فأبى عليه القائد محتجا أن الاوامر تضطره الى غير ذلك.

ومالبث عبيد الله أن أعد جيشا عظيما آخر لقتال الحسين، وقد قلد امرة هذا الجيش عمر ابن سعد بن أبي وقاص نفسه، هذا الجيش حتى [illegible]

لاخلاص له مما وقع فيه، وأن كل هذه الآمال التي كانت تساوره في النصر والظفر قد تلاشت برة. فرأى أن يحتال في الخلاص، فطلب قائد الجيش المفاوضة فبرز له وأخذا يتناجيان، وعرض عليه الحسين ثلاث خصال: الذهاب الى يزيد بن معاوية، أو الرجوع الى المدينة، أو الذهاب الى أى ثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله، فاستمهله القائد حتى يرسل الى عبيد الله بن زياد بشروطه. وكتب عمر بن سعد بهذه الشروط المتواضعة الى الامير وأرفق معها نصيحة بقبول هذه الشروط.

وهنا يخبرنا التاريخ أن ابن زياد قد قبل هذه الشروط ورأى أن يرسل الحسين الى يزيد وحمد لنصيحة قائده عمر، ولكن رجلا يقال له شمر بن ذى الجوشن تحول بعبيد الله الى ضرورة أسر الحسين والنزول على حكم الامير، فمال عبيد الله الى هذا الرأى ووجد فيه عزا له.

ولكن هذا القول خطأ لأن عبيد الله لو كان يريد هذه الشروط لبعث بها أوامر للجيش وحقن بذلك الدماء، ولكنه كما قلنا كان يريد بقتل الحسين التقرب من الخليفة، ولو كان أعجب حقا بهذه الشروط لما كان في استطاعة رجل كشمر بن ذى الجوشن التأثير عليه وهو هو، ولو كان ايضا على شيء من الرفق بالحسين لما أمر بقتله أن لم يستأسر، ولما أمر أن يدوسوه بالخيل بعد موته، فهذا لعمرى حقد بالغ لانستطيع التوفيق بينه وبين رغبة عبيد الله في قبول الشروط. وفي الحق أن شمر بن ذى الجوشن كان أشد الناس على الحسين، وهذا رجل لم يكن مسلما في عرفنا، وما نظن اسلامه الا ظاهريا فقط وانه كان يتظاهر بالاسلام خوفا من سطوة الاسلام، أو خوفا من الجزية، أو جهلا بكل اديان الله.

وأنت يبقيك الله لو رأيت هذا الرجل واقفا يأمر باحراق النساء والاولاد من أهل الحسين يوم الوقعة لما تجاوزت حكمنا عليه، وربما زدت فطوحت به الى أقصى منازل الوحشية، وتحيرت من هذا الحقد الذي صبه على الاسرة النبوية الكريمة.

وعندنا بعد ذلك كتاب من عمر بن سعد الى عبيد الله ورد عبيد الله عليه وهو كتاب يثبت حجتنا على نية هذا الاخير.

بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فانى حيث نزلت بالحسين بعثت اليه رسولى، فسألته عما أقدمه وما يطلب ويسأل فقال: كتبت الى أهل هذه البلاد وأتتنى رسلهم فسألونى القدوم ففعلت، فاما اذ كرهونى فبدا لهم غير ما أتتنى به رسلهم فانا منصرف عنهم.

فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال:
الآن اذ علقت مخالبنا به

وكتب الى قائده:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد بلغنى كتابك وفهمت ماذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه فاذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام. فلما أتى الكتاب الى القائد قال: حسبت ان لايقبل ابن زياد العافية.

ثم ورد كتاب آخر الى عمر من الامير:

أما بعد، فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء لايذوقون منه قطرة كما صنع بالتقى الزكى المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

أرأيت كيف ان ابن زياد كان يضمر عداوة هائلة: أرأيته كيف أدخل عثمان في هذا الشأن، وان حقده على حسين لم يكن لخروجه على الخلافة فحسب بل كان لهذه العداوة الاموية التى كثيراً ما حدثتك عنها.

ولم يكن مندوحة لعمر بن سعد من اشهار الحرب على الحسين. وحتم علينا ان نتعرف لهذا الرجل الذى كان أبوه قريباً للنبي من ناحية النساء. سبق لك في الحديث الاول كيف أنهى عمر كلام ابن عقيل الى ابن زياد، وكيف كان واشياً، ومن يدرينا، ربما كان في كتمانه هذا السر نجاة للحسين وأهله. والعجيب أن هذا الرجل لم يكن مرغماً ارغاماً في تولى قيادة الجيش المحارب، فقد خيره الامير بين العزل أو حرب الحسين فاختار الحرب، ولم يخيره بين شيء آخر من اتلاف الاموال أو الارواح.

ويزداد عجبك لو علمت أن الحسين لما تصاف الجيشان سأله أن يخلى سبيله على أن يصطحبه معه الى المدينة، فاعتل بان عبيدالله يهدم داره ويأخذ ضياعه، فعرض عليه الحسين أن يعوضه بالدار دارين وبالضيعة ضيعتين، ولم يكن كاذبا فيما اشترطه، ولم يكن الكذب من شيمة أهل هذا البيت. فأبى أيضاً، ولايسعنا أمام هذا الرفض إلا أن نقول أن هذا الرجل كان طامعاً في منزلة أعلى من هذا جميعه عند عبيد الله، لايبالى بما يفعل في سبيلها.

وكانت الحرب وقد تقدم أنصار الحسين وهم فرسان أدنى ما يقال فيهم إن واحدهم بألف. وليس في قولنا خيال أو تجاوز حقيقة، فقد أنبأنا التاريخ أن الجيش الذى جاء لحرب الحسين كان أضعاف أصحاب الحسين عشرات المرات، ومع ذلك لم يخلص هذا الجيش الى الحسين الا بعد فناء هذا العدد القليل من هؤلاء الابطال.

وقد وقف الحسين موقف القائد من هذه الجماعة الباسلة يديرهم بخبرة كان قد عرفها من أبيه الذى كان فارس الاسلام في كل مواطنه غير مدافع، ولم يزل الحسين كذلك حتى قتلت رجاله بين يديه وخلص اليه والى أهل بيته، فلم يكن دون هؤلاء الانصار الذين قتلوا، بل كان فوق ملء الارض من هؤلاء جميعاً، وانك لتتبين الشرف الهاشمى والبسالة العلوية في هذا الرجل، الذى حاكى بوقفته هذه جده صلوات الله عليه يوم حنين وقد فر عنه عامة الجيش وهو يصيح: الى أين أيها الناس أنا رسول الله، وثبت هو ونفر من خاصة أصحابه أمام جموع هوازن المتدفقة، كذلك كان الحسين قريب منه وقد [illegible]

وأخرى في مقاتل ذويهم بين يدى الحسين.

ولم يفكر واحد من هذا الجيش الكريم في الفرار إلا واحد استأذن الحسين فاذن له، وقد تقدم أهل البيت العظيم تقاتل كالاساد الغاضبة بين يدى كبيرهم وتقتل مقبلة غير مدبرة، كل هذا والحسين لايزال واقفاً كالصخرة العاتية تصد أمواج البحر الهائج المتكسرة على قدميها.

وقد أصابته الجراحة فجعل يكبو وينهض وهو يضرب بالسيف، وقد تحامى الجيش الظالم كبير اثم قتله حتى أهاب بهم شمر بن ذى الجوشن قائلا: الى متى تتركونه حياً! فعمد رجل وطعنه طعنة قاتلة، ومشى آخر الى رأسه فاحتزه. وأمر القائد جماعة من الجيش فداسوا ظهره بحوافر الخيل،

وأخذت أطفاله ونساؤه سبايا الى عبيدالله ابن زياد، وقد لاقت هؤلاء النسوة عنتاً من أفراد الجيش المنتصر، فقد قال ابن جرير: إن المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه.

وأحب أن أسرد عليك مقالة زينب بنت على بن أبي طالب وهى في الأسرى وقد مرت بالحسين، لتشاركنى في هذا الاسى العميق الذى مافتىء يساودنى كلما مرت بى ذكريات هذه القصة من مقتل الحسين:

يا محمداه يا محمداه اصلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء مقطع الاعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا.

ثم حمل رأس الحسين ورؤوس أصحابه الى الامير، فأرسلها الى يزيد بن معاوية مع الاسرى وكتاب يبشره فيه بالنصر.

وقد كان ظاهر يزيد عندما بلغه عمل عبيدالله ومقتل الحسين التكره، ولكنه تمثل ببيت من الشعر يشعرك أن كان مرتاحا لهذا المقتل:

يفلقن هاما من رجال أعزة
علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فأنت ترى أنه أظهر أن الحسين كان مستحقا للقتل لانه عاق ظالم.

وشيء غير هذا نحب أن نقف عليه، وهو وان كان مبهم المعنى الا أنه يسفر عن تشفى يزيد وقسوته.

وذلك أنهم لما جاءوا برأس الحسين وألقوه بين يديه أخذ يضرب في شدقه بقضيب، فانبرى له رجل من الجلوس كان عاصر النبي صلوات الله عليه وقال: ارفع هذا القضيب عن هذه الثنايا، فوالله لقد رأيت رسول يضع فمه عليها (يريد ان النبي كان يقبل الحسين) ثم انفضح الرجل باكيا.

وفي ضرب شدق الحسين بالقضيب انتهاك لحرمة الموتى، بل هذا الفعل ينفى ما أظهر يزيد من تكره لمقتل الحسين، وقد تكذب جوارح الرجل أقواله، وربما طغى البغض فقذف بأشياء يكره الانسان أن تعلم عنه.

وفي فعل يزيد برأس الحسين شماتة وسوء أدب كان يود أن يسترها، ولكن هذا البغض الاموى كان حرك يد يزيد بالقضيب فتحركت عالا يشتهى أن يعرف عنه.

[illegible] حتى في عمله، بل كان هذا الفعل سبباً في [illegible] عبيد الله عنده.

ولم يدرك يزيد الندم على مقتل الحسين الا [illegible] أن النتيجة جاءت عكسية، لانه بدل أن [illegible] من الحسين ويجمع الناس حوله، كرهه [illegible] لانه قتله، فحينئذ فقط علم أن قتله كان [illegible] سياسية كبرى، وقد قال لعن الله ابن مرجانة (يعنى ابن زياد) وكان هذا اللعن أقسى عقاب

الفراق واللقاء

للاستاذ محمد الصيرفي

الفراق داء دواؤه اللقاء. ولو نظرنا الى [illegible] الامور نظر أهل الدنيا لقلنا إن الناس جميعا [illegible] بداء الفراق يتهافتون على الدواء!! [illegible] الشفاء!!

[illegible] الناس في كل زمان ومكان حاجات [illegible] وضرورات يطلبونها ولا يصلون اليها. ومع ذلك [illegible] فرضاً عليهم أن يلحوا في الطلب ليجدوها [illegible] أنفسهم، ويستكملوها ليعيشوا عيشة أهل [illegible] لانهم يشعرون أنهم بدونها في [illegible] من استنشاق نسيم الحياة رطباً عليلا.

[illegible] هذه الحاجات منهم موقف الآمال [illegible] والمطامح والاغراض. بل أنها هى الآمال [illegible] والأحلام. فحاجات كل شخص آماله. [illegible] الانسان يبذل نفسه ويخاطر بحياته في سبيل [illegible] آماله وأحلامه!!

واذا كانت هذه الحاجات التى يسعى الناس [illegible] لتحصيلها كثيرة! فهى اليوم أكثر منها في كل زمان مضى. فلقد كثرت هذه الحاجات، [illegible] تلك الضرورات، في الوقت الحاضر تبعاً [illegible] الى الزمان، حتى أصبح كل امرىء يطمح الى [illegible] خد الكمال في كل ناحية، وفي كل مرفق [illegible] من مرافق حياته. وأصبح كل يشعر بألم شديد [illegible] لفراق هذه الحاجات، والقصور عن ادراكها، [illegible] وأصبح يفرح ويتهلل كلما أدرك شيئاً منها أو [illegible] شكلها من احدى نواحيها. وبذلك أصبح [illegible] الناس جميعاً وهم أصحاب حاجات: مفارقين ينتظرون [illegible] التلاق ويتحرقون بنار البعد والفراق!!

[illegible] الجاهل اليوم مريض مفارق، والفقير مفارق، [illegible] الذكر مفارق: والعاطل مفارق، والمريض [illegible] لا يشفى مفارق، والعاجز مفارق، والمغبون [illegible] مفارق. هؤلاء وغيرهم مفارقون يجهدون ويسعون [illegible] الى اللقاء العاجل!!

[illegible] فراق فاسد!! بل هو شهوة وطمع او طموح [illegible] ولم اليتمثل لنا بشبح الفراق وماهو بفراق!! [illegible] لانك تستطيع أن تستعيض عن حاجة بحاجة، [illegible] عن غاية بغاية، والمال جماع الحاجة والغايات!!

[illegible] انما الفراق ما يذيب حشانا!! ويملك حسنا [illegible] وشعورنا، وتحمل آلامه الروح الباطنة اضطرابا [illegible] وقلقا!! وتزفره حنيناً وشوقا!! ووطا كامنا [illegible] لا نستعيض فيه الروح عن شيء بشيء، [illegible] ولا عين بعين، وانما هى تتحرق لفراق عين بذاتها، [illegible] تلك عينها فلا عديل ولا بديل!!

[illegible] صلة روحية مطمئنة، بالفراق تنقطع وتنحل [illegible] ورباط خفى ينفك ويتحلل، وعروة وثقى من

الالفة، والمودة، والحب، تتمزق وتتعطل!!

والانسان بطبعه أليف ودود، يألف من حيث لا يشعر، ثم يقاسي من هذه الالفة الطبيعية عذابا بين صر الفراق وعذب اللقاء!!

ثوبك الذى ترتديه، بيتك الذى تقيم فيه، مهجعك الذى تسكن اليه، ناديك الذى تعكف عليه، ليست مجرد حاجات من حاج الحياة تستعملها، وتتمتع وتنتفع بها، ثم تنفض يدك منها في هدوء وسكون، حينما تشاء وكيفما تشاء بلا حساب، ولكنها بالنسبة لنفسك وروحك، ولحسك وشعورك، وعواطفك وميولك، شيء آخر لا تعرف ما هو!! انما انت تعرف بانها شيء آخر حينما تهم بفراقها!!

حينما تهم بفراق بيتك الذى أنسته زمنا طويلا أو مضجعك الذى تمتعت فيه متاعا جميلا أو مسارحك التى ألفتها ووجدت لنفسك فيها لذة ومرحا، أو مسارحك التى تعودتها ووجدت لنابك فيها سروراً وفرحا، حينئذ تشعر بشيء من الألم يختلج نفسك، ويمازج روحك، وتحس بشيء غير قليل من الوحشة يساور فكرك لهذا الفراق!

حينئذ فقط تشعر بالالفة التى انعقدت بالتدريج بينك وبين ما كان يحيط بك في اقامتك من غير أن تحس أو تشعر!! وحينئذ تعرف تمام المعرفة بأن كل شيء حولك من الاشياء التى تحتك بها بأى شكل من الاشكال ليس مجرد متاع من الأمتعة بالنسبة لروحك وحسك وشعورك!! ولو كان الأمر كذلك لما تألمت لفراقها ولا أسفت على تركها مادمت تستعيض عن شيء بشيء!!

انما هى روح مطبوعة!! تختلط بكل شيء حولها! مما يدخل في مزاجها اللتمرى اليه! تتشربه وتستنشقه، وترتشفه وتتعشقه!!! تناديه وتناجيه!! وتتعاهد معه على الالفة والمودة! والاقامة وحسن الجوار!.

فاذا ماحان الفراق! وبان التلاق، شعرت بعشرات من الاعين الباصرة، من كل ما هو حولها، ترمقها من كل جانب اسفا! وأصغت الى عشرات من الالسن الناطقة، تلهج بالوداع! وتعتب عليها أيام المتاع!.

تشعر النفس حينئذ بأنها برحيلها قد نكثت العهد، ونقضت الشرط، وفرت من أداء حقوق الاقامة، وواجبات الجوار! فتتألم النفس حالة ألفتها، وسوق أقامتها وعيشة لزمتها وركنت اليها زمانا!.

ما بالك بما تتشربه نفس الرفيق من رفيقه، والصديق من صديقه، والأليف من أليفه، والحليف من حليفه، والام من ولدها، والولد من أبيه، والشقيق من شقيقه، والعاشق من عشيقه!.

[illegible] متحدتان! أدمجت واحدة الى واحدة! ترتشف كل نفس نفسها! وتمتص [illegible]

واحدة! ومشارب واحدة!

صدمة قاسية ونكبة! تلك التى يقاسيها الانسان لدى الفراق! متى كان له قلب وروح! ونفس حساسة! تشعر بالبناء حين يتهدم، وبالشمل حين يتبدد، وبالجمع حين يتفرق، وبالوحدة حين تتمزق، والعقد حين ينحل، وتشعر بشحها وحرصها الطبيعى على احبابها وجيرانها وكل ماهو حولها! حتى على الكلب والهر تشعر بألم من الفراق!

روح ترتبط بكل ماحولها! رباط خفى! يظهر في تلك الساعة الرهيبة! التى لايخفف من رهبتها الا الامل في العودة والرجاء في اللقاء!

نحن نحس بالفراق حملا ثقيلا؟ مابالنا بآبائنا الاولين وقد حملوه بناره على أشده!

ترسل، وصحف تنشر، وأخبار تكشف وتذاع!

لقد خفت وطأة الفراق كثيرا! واصبح المفارق يعرف كل مايريد من مفارقيه الاعزاء! ومع ذلك فالانسان الذى صهره الفراق بناره! وأعدله عدة الموت والفناء رهبا وفزعا ابديا! لايزال يرهبه! ويلمح شبحه في كل مال يحول أو ظل يميل، أو شيء في الحياة يفنى ويزول!

يرى الانسان لون الفراق في ظلمة الليل حين حلول الليل وزوال النهار، ويشم رائحته في ذبول الازهار، وفساد الاعطار، ويحس بوحشته وكآبته في جفاف الاشجار وغوض الآبار، ويسمع [illegible] في صوت المؤذن حينما يؤذن بالمشى والابكار!!

رحلة الحجاز

(بقية المنشور على صفحة ٩)

معيناً، وكانوا معنا على الاقل أحذق وأدق مجاملة من أن يتوخوا ترتيباً، فكان من شاء يجلس حيث يشاء، حتى لايشعر أن غيره مفضل عليه أو مقرب دونه أو مختص بايثار. والقوم في الحجاز لا يأكلون سوى مرتين في الاربع والعشرين ساعة: مرة حوالى الساعة العاشرة والثانية حوالى الساعة الرابعة أو الخامسة. وأحسب أن جو البلاد هو الذى اقتضى هذا التخفيف، ولكنهم توخوا مثل عاداتنا في مصر من اجلنا. وغيروا مألوفهم وجروا على مألوفنا.

والاطعمة التى تناولناها فيها صنعة حسنة وذوق يجمع بين الاساليب الغربي والتركي. وقد يحدث أن يقدم لك بعد بضعة ألوان طعام حلو فتحسب أنك قد قاربت النهاية ويسرك ذلك فراراً من كظ المعدة بألوان عدة لا آخر لها واذا بهم بعد الحلوى يكرون الى اللحوم والخضر وما الى ذلك على نحو ما كان يجرى هنا في مصر في الأعراس على الطريقة التركية القديمة.

وأحب أن أعين القارىء على تصور حالة جدة وعمل البلدية فيها. فأقول ان الطرق غير مرصوفة كما هى في مصر ولكنها نظيفة على الجملة، وقد أصارها المطر بركا وبحيرات، وهو مطر ملأ صهاريج الثغر كلها، ومن بين هذه الصهاريج واحد سعته — بحسابهم — مائتان وأربعون الف «صفيحة» فاذا اعتبرت أن «القربة» تعادل أربع «صفائح» كانت سعة الصهريج ستين الف قربة، وقد قيل لى ان الماء الذى في الصهاريج يكفى موسم الحج، وانما ذكرت الصهاريج ومثلت اسعتها ليتسنى للقارىء أن يكون لنفسه فكرة عن المطر وما صنع، فقد هدم بيوتا وقوض أسقف بعض الاسواق، ولم يبق بيت لم يقطر الماء من سقفه، والبنى هناك ضعيفة، وقد قضينا الليلة الاولى في جدة فأصبحنا وقد انقطع المطر فانطلق عمال البلدية ينزحون الماء ويجرفون الأوحال، ولما جاء العصر عادت الطرق نظيفة مأمونة. وأحسب انهم ضاعفوا الهمة من أجلنا، ولكنه نشاط على كل حال.

والاغنياء هناك لايدعون الفقر ولايكتمون مالهم وان كانوا لايضايقون الناس بمظاهر البذخ. والتجارة سوقها رائجة مع الغرب والشرق. والاحاديث صريحة والألسنة طليقة، وفي هذا دلالة على الاطمئنان، وقد كان الناس على ماعلمت في العهد السابق يخفون أموالهم ويتظاهرون بالمتربة ورقة الحال خوفا من الابتزاز أو الاقتراض الذى هو في حكم الاغتصاب والمصادرة، أما الآن فيقول لى بعض الاصدقاء: ان الحكومة في آخر العام قد تفتقر خزائنها فتحتاج الى المال فتقترض من الاعيان حتى اذا جاء موسم الحج ردت اليهم ماأقرضوها بلا ربا.

وقد سألنا — في طريقنا الى مكة — سائق السيارة وهو شاب حدثنا انه كان أحد أفراد الفرقة الموسيقية في جيش الحسين، عن الفرق بين العهدين فكان جوابه أن الامن مستتب على أحسن حال وانه ما من أحد يجرؤ ان يسرق أو يمد يده الى شيء في الطريق،

فقلنا له: وأى العهدين خير؟

فقال: «لكل زمان دولة ورجال»

فصرفنا السرور بتمثله بالشعر والتعليق على ذلك عن سؤال الحمايمي. ولايزال الكلام على جدة طويلا فالى الاسبوع المقبل ان شاء الله.

ابرهيم عبد القادر المازني

في الأدب الجاهلي

اصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب «في الأدب الجاهلي» تأليف الدكتور طه حسين استاذ آداب اللغة العربية بالجامعة المصرية. وموضوع هذا الكتاب الجديد يتبين من مقدمته، وهى: «هذا كتاب السنة الماضية حذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت اليه فصول وغير عنوانه بعض التغيير. وأنا أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الطبعة الثانية الى حاجة الذين يريدون أن يدرسوا الادب العربي عامة والجاهلي خاصة من مناهج البحث وسبل التحقيق في الادب وتاريخه، وهو على كل حال خلاصة ما ألقى على طلاب الجامعة في السنتين الاولى والثانية من كلية الاداب»

ويقع الكتاب في سبعة كتب يستغرق منها كتاب السنة الماضية، بعد حذف ماحذف منه واضافة ما أضيف اليه، نحو ثلاثة كتب والباقى بحوث جديدة أضيفت اليه.

ويطلب من المكاتب الشهيرة ومن اللجنة المذكورة وثمنه خمسة وعشرون قرشاً ما عدا

وصول أول طيار مصري الى القاهرة

في ٢٦ يناير سنة ١٩٣٠

ننشر فيما يلي أخبار وصول الطيار صدقي نقلا عن السياسة اليومية كي نسجلها في السياسة الاسبوعية باعتبارها حادثا قوميا هاما فاتحة لما ثمرتها المرتقبة في تقدم الطيران في هذه البلاد .

الاسكندرية في ٢٦ يناير — لمراسل السياسة الخاص .

في صباح اليوم قصد الطيار المصري الهمام محمد صدقي دار بنك مصر حيث اجتمع بأصدقائه العديدين وبكثير من الطلبة والاهالي . وفي أثناء وجوده تلقى تلغرافا من معالي كبير الامناء يخبره فيه بصدور الارادة الملكية بالسماح للطيار بتسمية طيارته «الاميرة فائزة» فتقبل الطيار هذا النبأ بالشكر والدعاء لمليك البلاد المعظم .

وحوالي الساعة ١١ قبل الظهر ركب السيارة ومن ورائه جمهور من الاصدقاء والاهالي والطلبة في سيارات أخرى قاصداً مطار أبي قير حيث اجتمع عدد كبير من السكندريين لتحيته . وقد قوبل بالتصفيق والهتاف العالي الدال على شعور المدينة نحو أول مصري يدخل بلاده طائراً . وبعد أن أخرج طيارته الى الميدان وتأكد من أنها في حالة جيدة ركبها وطار حيث كانت الساعة الواحدة إلا الربع . وقد حلق في جو الاسكندرية بضع دقائق ثم استأنف سفره الى القاهرة حيث يصلها حوالي الساعة الثالثة .

هذا وقد قابل اليوم وفد من الطلبة صدقي افندي وأبلغه عزم الطلبة على اقامة حفلة تكريم في الاسكندرية له واتفق مبدئياً أن تكون هذه الحفلة يوم الخميس القادم بفندق ماجستيك .

وقد تساءل بعضهم عن عدم اشتراك حضرات أعضاء اللجنة المشكلة برياسة حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون في استقبال الطيار عند قدومه ؟ فالجواب على ذلك هو أن اللجنة لم يصلها رسميا نبأ موعد قدومه ، ولذلك لم يكن لديها الوقت الكافي لتنظيم الاستقبال والتعبير عن شعور الاسكندرية وتقديرها لأول طيار مصري خاطر بحياته في مثل هذا الطقس لا لغرض سوى رفعة مكانة بلاده .

وقد سئل صدقي افندي عن سبب عدم ابلاغه اللجنة تلغرافياً فأجاب بأنه كان في أوقات صعبة لم يمكنه الجو ورداءته من معرفة مواعيد قيامه أو وصوله وانه عند ما وصل الى السلوم أبرق الى سمو الامير ينبئه خبر وصوله اليها وكان ذلك أول أمس . وقد أعرب عن تشكراته وتقديره لشعور سمو الامير وكبار أعيان الثغر نحوه .

وفهمت أن صدقي أفندي قد قطع بطيارته نحو ٤ آلاف كيلو متر وأنه مر في طريقه من برلين الى الاسكندرية بدرسدن وبراج وفينا وبودابست والبندقية وبرنديزي وكاتانيا ومالطة وطرابلس والسلوم ومرسى مطروح . وانه اضطر الى النزول في كل هذه البلاد نظراً لرداءة الجو وانه كان فوق مقدوره مقاومة الطبيعة وقسوتها .

في طنطا

وجاءنا مايلي من مراسلنا في طنطا

وبقي يحلق في سمائها ربع ساعة دار في أثنائها سبع دورات ، واشرأبت اليه الاعناق ورفعت الرؤوس وشخصت الابصار الى أول شاب مصري امتلك عنان السماء فكان يقابل من الجمهور المتعالي بالتصفيق والهتاف والتلويح بالرايات المصرية من على سقوف المنازل وقد رفعت الرايات والاعلام المصرية على جميع البنوك والمحلات الكبرى . وكان في كل مرة يهبط عن الاخرى حتى اقترب من سقوف المنازل ثم غادرنا متجها الى العاصمة بين الهتاف والتصفيق

شعور الشعب

برزت مصر كلها أمس تستقبل ابنها البار صدقي ، الذي أخضع الجو لمصر وربط الغرب بالشرق برحلته وأسمع العالم كله أزيز طيارة مصرية يركبها طيار مصري مخاطر بنفسه وهي أعز مايملك في وسط زعازع قاصفة وعواصف ثائرة وطبيعة لايكاد المرء يتبين فيها شخصه ولايعرف فيها مصيره ، فعل هذا كله ليرفع من شأن مصر ويعلي من قدرها ويسجل لهذا الشعب الفخار ويخط اسماء شبانها بين شبان الامم الذين خاطروا بأنفسهم لتحيا أممهم وتشيع في نفوسها الشجاعة والاقدام .

ولم تكن القاهرة وحدها أو الاسكندرية هما المدينتان اللتان استأثرتا بالحفاوة بالطيار النابغة وأظهرتا ولاءهما لذلك الشاب النابغة بل كانت كل المدن التي طار فوقها من الاسكندرية الى القاهرة تموج بالالوف المؤلفة من الاهالي الذين قدموا من انحاء شتى ليشتركوا في تحية الطيار ويقوموا له بواجب الشكر والترحيب .

أما في القاهرة فقد كان الشأن أعظم والامر أبهى وأجل . فقد شهدت العاصمة أمس يوما وطنيا عاما تجلت فيه روح الشعب وظهرت العاطفة الوطنية بأجلى مظاهرها ، فلم تكن ترى غير وجوه قد علاها البشر ونفوس قد استفزها السرور حتى ذهبت في التعبير عن سرورها كل مذهب ، وراحت تدلل على جذلها بدلائل شتى تختلف في الصورة ولكنها تتفق في الدلالة والتعبير .

في مطار هليوبوليس

ذهبنا الى مطار هليوبوليس في منتصف الساعة الثانية بعد الظهر فاذا بذلك المكان الذي يشعر منظره في العادة بالروح العسكرية قد استحال الى صورة أخرى وأصبح بما نصب فيه من الرايات وما أقيم فيه من السرادقات وما امتلأت به جوانبه من الجماهير أشبه شيء بالموالد والافراح .

وأقامت لجنة الاستقبال فيما يلي الباب المرقوم بنمرة «١» سرادقا كبيراً رفعت فوقه الاعلام الخطرة وقد نظمت فيه الالوف ...

الحاضرين بحسب منازلهم وأعدت في الصف الاول كرسياً فاخراً ليجلس عليه مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك ، وفي نهاية هذا السرادق من الجنوب أقامت سرادقا آخر للمدعوات من السيدات .

وكان مفهوما أن الطيار سيصل الى المطار في الساعة الثالثة بعد الظهر ، ولكن جمهور المستقبلين كان قد استولى على مقاعده في السرادق منذ الساعة الاولى بعد الظهر ثم أخذ سيل المستقبلين يتدفق حتى ضاقت الكراسي عن أن تتسع للجميع وحتى اضطر من جاء متأخرا أن يقف أمام الجالسين فكان حظ المتأخرين من هذه الناحية خيرا من حظ المتقدمين

ومدت الحبال على بعد بضعة أمتار من السرادق علامة على الحد الذي يجب أن لا يتخطاه الجمهور ، ثم وقف الجنود من وراء الحبال زيادة في الاحتياط . وسيرى القارىء فيما بعد أن هذا الاحتياط لم يغن شيئاً أمام اندفاع الجماهير نحو الطيار .

وكانت لجنة الاستقبال وعلى رأسها حضرة صاحب العزة عبد الله فكرى أباظه بك تشرف على النظام وتتولى اجلاس المدعوين وتعمل بنفوذها على أن يكون الاحتفال بالغا من الأبهة والفخامة الى أبعد غاية .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر وصل الى السرادق والد الطيار يصحبه خاله فاستقبلا من جمهور المحتفلين بهتاف شديد وتصفيق بالترحيب لهما واعترافا بنصيبهما في هذه الرحلة المشرفة للبلاد .

وتوالى حضور كبار المدعوين فكان الجمهور يستقبلهم بالهتاف والتصفيق وكان حظ حضرة صاحب السمو الامير عباس حليم الامير الرياضي بالغاً ، فقد حياه الجمهور معترفا بفضله على الرياضة ، كذلك كان حظ حضرة صاحب العزة الاستاذ طلعت حرب بك مدير بنك مصر من هذه الحفاوة كبيراً ، فقد قوبل عند ظهوره بالتصفيق الشديد ، وكان من بين المستقبلين جناب الهر شتوزر وزير المانيا المفوض والهر بلجر السكرتير الاول في المفوضية وعقيلتاهما .

وفي الساعة الثانية والدقيقة ٥٥ وصل حضرة صاحب السعادة صادق يحيى باشا كبير الياوران من القصر الملكي ومندوب حضرة صاحب الجلالة الملك ووصل في هذا الموعد ذاته دولة رئيس الوزراء ، وكان قد وصل قبله من الوزراء وزراء الحقانية والمواصلات والحربية ، أما وزير المالية ورئيس مجلس النواب فقد حضرا الى المطار بعد وصول الطيار وهبوطه الى الأرض .

استطلاع الافق

وحين دنا موعد وصول الطيار أخذ الجمهور يرسل بصره الى السماء ليستطلع الطيارة فكان منظراً عجيباً أن يبصر المرء هذا الطوفان من الناس في وضع بديع قد تجرد عن كل شيء على وجه الأرض ونسي كل شيء على البسيطة وأخذ يشد بصره في السماء باحثا عما افتقدا ووجهة الجميع الغربية حيث طريق الطيار ومطلة ومطوله فوق شمال الى القبة .

الطيار الى القاهرة فقصد الى سراي القبة العامرة وحلق فوقها تحية واجلالا وكان على ارتفاع خمسمائة متر ثم ألقى رسالة مزينة بالزهور تحتوي على خطاب يتضمن خالص عبارات الشكر والولاء لحضرة صاحب الجلالة الملك .

وقد حملت الريح هذه الرسالة من مستوى السراي وألقتها على الشارع فالتقطها أحد المارة وحين رأى مظهرها سلمها الى جندي البوليس فذهب بها الى البوليس حيث أخطرت السراي الملكية بذلك فأرسلت من جاء بالرسالة .

وفي الساعة الثالثة وخمس دقائق تحركت جموع المستقبلين الى الامام واعتلى الناس ظهور الكراسي وارتفعت الابصار الى السماء وطن في الآذان أزيز الطيارة فارتفعت أصوات ألوف المستقبلين بالهتاف ودوت في أنحاء المطار الاكف بالتصفيق وأطلق المستقبلون مئات «البالونات» الصغيرة في الهواء بين حمراء وخضراء وغير ذلك من الالوان ، فأكسبت الجو منظراً بديعاً وراحت هذه (البالونات) تذهب صعداً في الهواء تحمل الى الطيار المصري تحية المستقبلين وتنوب عن مرسليها في الحفاوة والتكريم .

وحلق الطيار فوق المستقبلين على ارتفاع بسيط فاشتد حماس الشعب وعلا هتافه واختلط صياحه حتى ما كان لاحد ان يميز في وسط هذا الضجيج البالغ صوتا أو يتفهم عبارة ، ثم اتجه الطيار الى جهة الغرب قليلا وظل يترقب علامة نزول حتى أطلق له المطار الطلقات الاصطلاحية . فنزل في المكان الذي أطلقت فيه وهو يبعد عن مكان المستقبلين نحو مائتي متر

هجوم الجمهور على الطيارة

وحين رأى الجمهور الطيارة تهبط الى الارض خرج عن رشده ونسي نفسه فانطلق الى الامام متخطيا الحبال والجنود ثم ظل يتدفق نحو الطيارة كالسيل . وحاول العسكر الراكبون أن يقفوا سيره ولكن ضاع مجهودهم عبثاً ، فقد ظل الجمهور في اندفاعه حتى وصل الى الطيار وكان محرك الطيارة لايزال سائرا فهجم عليه يقبله ويعانقه وكل يحاول أن يفوز بحمله على عنقه ويفوز بالسبق في هذا المضمار .

كان مندوب جلالة الملك ودولة رئيس الوزراء والوزراء وكبار المستقبلين قد تركوا أماكنهم وساروا الى الامام بضع خطوات ، ووقفوا في انتظار مجيء الطيار ليسلموا عليه ، ولكن الجمهور كان قد حال بين الطيار وبين المستقبلين فانصرف رئيس الوزراء وظل الآخرون حتى جاءهم الطيار محمولا على أعناق الشعب فتقدم الى مندوب جلالة الملك فصافحه ، ثم صافح الآخرين وتبادل الجميع التحيات والتهاني .

نبل وأريحية

ولم يكن هنالك أنبل ولا أسمى مما أظهرت ادارة المطار البريطاني في مطار هليوبوليس من المساعدة العظيمة والاريحية الجليلة والشهامة البالغة والشعور الودي الكبير ، حتى لقد كان موظفو المطار يهتفون للطيار ويلوحون اليه بأيديهم في الهواء ويشاركون الشعب في سروره بالطيار وتحيته له وقد بلغت تحية ادارة المطار أن أبت أن تتناول أجر ايواء الطيارة المصرية المدة التي تظل ...

ف الأدب المكشوف

أدب الحرب

[...]خلفت الحرب العالمية الكبرى من نوع [...]من الكتابة أطلقوا عليه «أدب الحرب» . [...] هذا النوع بما يدل عليه عنوانه : يصف [...] والحروب وتعبئة الجيوش وقيادتها [...] الى ذلك من الفنون الحربية المختلفة كلا !! [...] فتح جديد في عالم الادب ، وهو من [...] أسلوبه وطريقته يمت بصلة قوية الى [...] «الادب الواقعي» .

أول ما ظهر هذا النوع من الكتابة كان [...] أثناء الحول المنصرم ، إذ أن بعض أساطينه [...] فكرته إنما هم من الكتاب الالمان ، [...] لايبعد أن نرى معظم أدباء الغرب يهيمون [...] وحدهم بهذا الضرب الحديث من الكتابة ، [...] تقف [...] العالم مكتوفة [...] القيود . [...] السلاح وسط [...] المدججة بالسلاح ، ولأن في هذا الادب [...] العالم في الحروب وما تنتجه من [...] وويلات .

وميزة [...]ادب انه يصف حياة الجندية [...] الحربية وصفاً حقيقياً «ريالزم» دقيقاً ، [...] كلف ولا زخرفة ، وبما تكتنف حياة [...] وسط ساحات الوغى من رغبات [...] ولواعج مضطرمة قد تستفزها نحن [...] السلام !! بل إن هامة الميول والمنكرات [...] يستسلم لها الجنود عادة في ساعات من ساعات [...] حيث يتيه العقل والوجدان وتتجرد [...] من كل عاطفة الا عاطفة اللذة الآثمة ، [...] يستنكرونها ويفزعون من فعل أثرها [...] بمجرد رجوعهم الى أوطانهم وارتمائهم [...] أحضان زوجاتهم وعشيقاتهم .

فالادب الذي نتحدث عنه اليوم انما هو [...] خالص لما يحيط بالبيئة العسكرية ، وما [...] من أوضار وشواذ وبما تخلقه هذه [...] من عواطف ونزعات قد تضر بالمجتمع [...] الاسرة معا في المستقبل ، وقد تكون سبباً [...] أسباب نقص النسل وضعفه . ونزوع [...] الى ناحية شاذة من نواحي اللذة الآثمة [...] وبذل جهده في سبيل الوصول اليها .

[...] هذا الادب ببيانه الصورة الحقيقية [...] انما يبغض الشعوب في الحروب ويقتل [...] روح الحمية ، ولأنه مطبوع بطابع [...] مبغضة الى الجهاد . هذا فضلا [...] سيئة للشبان في امتشاق الحسام [...] ساحات الوغى وإذن في ترويج أمثال هذا [...] مخالفة لميثاق «كيلوج» الذي رحبت [...] أول أمره .

[...] أن نحكم بأن هذا الادب انما قد [...] وأسلوبه عن :

[...] الادب الواقعي «الريالزم» الذي [...] الحياة الحقيقية بلا زخرفة ولا «رتوش» [...] من الادب الروسي الذي أصبح كل [...] » يحاولون جهدهم الوصول [...] مع نواميسه .

الادب الفرنسي وطبعه بطابع من «الادب الاباحي» ومتأثرا بعض الادباء الفرنسيين أمثال «فيكتور مرغريت» على اخراج «لاجرسون» الا أثر عميق من آثار الحرية الكتابية التي تمخضت عنها الحرب العظمى ، وجملتها تصف الحياة الحقيقية التي تحياها الشعوب والجماعات ومايكتنف هذه الحياة من محرمات واباحيات .

كذلك كان «أدب الحرب» وكان أثره الشديد في تنفير الناس من الحروب ونتائجها ، ولانه يصف حياتهم الخفية ويحللها تحليلا مسهبا : يصف حياة أسرات الجنود بعد أن يرحل رجالها عنها ، تلك الحياة التي أصبحت تقوم علاقتها التناسلية بين اثنين من جنس واحد . ولقد ذكر الكاتب الفرنسي المسرحي «أندريه دي لورو» الذي أصبح ثقة يرجع اليه في درس الميول والعواطف الشاذة والذي حوت كل مسرحياته هذا الاسلوب الحديث من «أدب الحرب» ، أثبت هذا الكاتب العظيم في مقال نشرته له جريدة «كوميديا الفرنسية» ان العلاقات التي طغت أخيراً على أوساطنا وحياتنا الخاصة قد أصبحت بوضوح أبعد مدى وأقوى عاطفة اذا قامت بين شخصين من جنس واحد ، وان أشياع هذا المبدأ الشاذ ينتشرون اليوم في فرنسا وألمانيا وغيرهما من الاقطار ، يكونون الاندية والجماعات وهم من حيث التفاهم حول بعض انما أصبحوا يشبهون رجال الماسونية . وبعد أن شرح الكاتب المذكور الادوار التي مرت على العلاقات الجنسية الشاذة منذ فجر التاريخ الى اليوم ، ذكر أنها لم تقو ولم تتحكم أواصرها في أي عصر من العصور قدر ماهي متحكمة بعد الحرب في نفوس الناس .

ولندل على شدة انتشار هذا الادب نقول إن كتاباً ظهر حديثاً باللغة الالمانية عنوانه (ليس في الناحية الغربية من جديد) قد ترجم بمجرد انتشاره الى عشر لغات حية طبع منها في شهر واحد نحو الخمسة عشر مليون نسخة معظمها بالفرنسية والانجليزية . وقد حوى هذا الكتاب آثار الحروب في عقلية الانسان وجهوده ، وفي تكييف أمزجته ونزعاته وما قامت عليه العلاقة الجنسية الشاذة بين بني البشر ، وما الى ذلك من الارتباكات العائلية التي تهدد المجتمع بالزوال .

ولهذا الادب أنصار عديدون يرحبون به من طيبة خاطر ويدعون اليه جهد طاقتهم ، ليس لان كتابه من أنصارهم فحسب ، بل لانه أداة قوية في تقويض أركان الحروب ، ولانه سلاح ماض يشهرونه في وجوه الذين تستهويهم اراقة الدماء ، وافناء الشعوب والجماعات ولانه يحقق لميثاق السلام الذي عقد أخيراً في باريس .

ولعل في العدد القادم يمكننا أن نقدم الى القراء قطعة طريفة كأنموذج (لأدب الحرب)

كأس الموت

عند مايغمض الحمام جفني ،
وتبطل المنية دقات قلبي الحائر
ويستقر جسدي على فراشي هادئاً مطمئناً
ويخيم حولي سكون رهيب موحش ،
وتصمت لساني الناطق بالحق صمتاً جليا ،
ويلتف حولي الباكيات مجللات بالسواد ،
يندبن شابا ذلته فارق الحياة مغبونا .
لأن غصنه الناشىء قصف ولما يتم نضوجا ،
وزهرته اليانعة ذبلت ولما ينفض الربيع .
ويحيط برفاتي القراء يرتلون آيات الله
ويطلبون منه رحمة لي وغفرانا .
وقتذاك ، لاتبكوني ، فقد عشت كطائر غرد يحلق في فضاء الكون باحثاً عن منابت السعادة .
وكثيراً ماهبط على حقول الحب فالتقط من ثمارها .
وكان كالنحل يرتشف من عصير الزهر ما يلذ له ويطيب ،
متخذا في كل فعاله قلبه المحب الرحيم هاديا ومرشداً ، لاتقيده قوانين ولاتزجره عادات
لكنه كان يأنف أن يحيا حياة التنقل ،
وأن يرضى بما رضي به لذاته .
فنفسه الطموح أبت الا ارتشافه كأس السعادة كاملا .
وكم تجشم في سبيلها الصعاب مستعيناً بالصبر معللا النفس بالأمل .

لا تبكوني وادفنوني بعيداً عن الحدائق والرياض ولا تجملوها مقر قبري .
فتلك الأماكن أولى بجلسة المحبين يتبادلون فيها حديث الهوى وشكوى الغرام .
ابعدوني عنهم ولا تذكروهم بشبح الموت المهيب من كل ذي روح .
لاتنثروا الزهور على قبري فهي للمحبين يتهاجون بها ويتهادون .
فما أجملها على صدورهم تحليها وتزينها .
وما أبهاها في أيديهم يلوحون بها فتزيدهم رشاقة وظرفا .
لاتظلموها بمعاشرتي ، فما أكره نفسي للظلم وأبغضها للظالمين .
لاتجعلوها تذبل كمداً على قبري الموحد .
ادفنوني بأرض عارية بالنخيل المبعثر هنا وهناك .
ادفنوني تحت أقدام الرعاة
بعيداً عن مقابركم أيها البشر .

المنيا عبد العزيز محمد صالح

في العراق
في بغداد

تباع السياسة الاسبوعية واليومية بمكتب الصحافة المركزي لصاحبه محمد صادق المهدي صندوق البريد رقم ١٤ . وبالمكتبة العصرية لصاحبها محمود افندي حلمي

وثمن الاولى قرش وأصفة
وثمن الثانية ثلاثة قروش بالعملة المصرية

وصول أول طيار مصري الى القاهرة

بقية المنشور على صفحة ٢٢

موجودة في المطار وهي تتقاضى أجرا ضخما يبلغ خمسة جنيهات عن كل ليلة في العادة .

من هليوبوليس الى العاصمة

وكانت لجنة الاستقبال قد أعدت سيارة حضرة فؤاد بك قطب لركوب الطيار من هليوبوليس الى العاصمة وكانت هذه السيارة مزينة بالازهار والرياحين من جميع جوانبها ، حتى كانت عبارة عن طاقة كبيرة من الازاهير ، فركبها الطيار والى جانبه عبد الله أباظه بك رئيس لجنة الاستقبال . وأمامه سيارة فيها سعادة حسن أنيس باشا ووراءه قطار من السيارات . وكان الطريق من هليوبوليس الى العاصمة مكتظا من جانبيه بالجماهير وهي تحيي الطيار وتهتف له وتحيي في شخصه الجرأة والاقدام ، وقد ظل الموكب في سيره حتى وصل الى سراي عابدين العامرة فترجل الطيار وقصد الى السراي فقيد اسمه في دفتر التشريفات الملكية ثم قصد بعد ذلك الى نادي مدرسة التجارة العليا في شارع عماد الدين .

في نادي التجارة العليا

وكانت ألوف وألوف من الجماهير قد سبقت الطيار الى هذا النادي ووقفت حوله . وكان البوليس من جانبه قد تنبه الى ذلك فوقف صفان من الجنود يحولون بين الجمهور وبين دخول النادي . وما كاد موكب الطيار يشارف المكان حتى أخذ الجمهور يرسل سرته بعبارات الهتاف البالغة والتحية الشعبية الصادقة ، وبعد جهد جهيد دخل الطيار النادي ولكن الجمهور ظل مرابطا يهتف للطيار ويطلب أن يطل عليه .

وهنا أطل على الجمهور حضرة عبد الله اباظة بك وخاطبه بما معناه أن الطيار المصري يشكر للشعب حفاوته البالغة به ويحيي فيه هذه الروح الطيبة التي حملته على الاحتفال بمقدمه ، ولكنه يعتذر عن التقدم بشخصه بسبب تعبه من الرحلة وحاجته الى الراحة .

وعلى أثر وصول الطيار وتمتعه بجانب من الراحة ذهب في صحبة لجنة الاستقبال الى المصور فالتقطت صورة الجميع .

دقائق مع الطيار

وهيأت لنا الفرصة الالتقاء بالطيار على انفراد عند المصور فأخذنا نسأله عن رحلته وعن العقبات التي صادفها والتعويق الذي استولى عليه حين شاهد أرض الوطن وأيقن بالنجاة من الاخطار .

وقد تفضل حضرته بالجواب عن هذه الاسئلة بأن الرحلة كانت طيبة جدا ولولا العقبات الطبيعية في أوروبا لصح أن يقال انها تعرضت لشيء من الخطر .

والطيار المصري شاب في العقد الثالث من عمره وهو أبيض اللون أحمره أميل الى النحافة في أدب وتواضع يحمل مظهره على الحب والاحترام .

وكان ساعة حديثنا معه تعبا جدا حتى قال انه يشعر بأن كل عضلة من جسمه تحيب به صارخة تطلب الراحة والخلود الى السكينة بعد ما بذل من الجهود في الايام الاخيرة ، وقد علمنا من حديثنا معه انه كان محفوفا بالعناية الالهية في رحلته كلها وكان من مظاهر هذه العناية السامية أن تغلب على صعوبة فنية في الطيارة في الدقائق الاخيرة من رحلته ، فقد أحس بعد أن حلق فوق سراي القبة أن شراك الطيارة أصيب بعطل جسيم يقضي عليه بالنزول لاصلاحه ولكنه جاهد حتى وصل الى المطار ونزل فيه ، ولولا ذلك لطاف فوق العاصمة وحلق عليها حتى يقوم لها بالتحية الواجبة .

هدايا

وقد قدمت لجنة الاستقبال للطيار هدية حسنة دلت على ذوق سليم واختيار حسن إذ قدمت اليه طيارة من الازاهير ذات أجنحة ومحركات قد كسيت بالورد والنرجس وغيرها من الرياحين ، وأهدت مدرسة الهندسة الملكية طيارة من الازاهير الصناعية ومدرسة فؤاد الاول الثانوية كأسا بديعا وأهدى اليه حضرة السيد محمد النقي بلطا زهرية بديعة كذلك .

ونحن نختم حديثنا عن الطيار المصري فنقدم له التحية البالغة والتهاني الصادقة ونرجو الله عز وجل أن تكون هذه الرحلة الجديدة فاتحة أعماله الباهرة وعنوان مستقبله السعيد في الفن الذي نبغ فيه .

الادب العربي

في العصر الحاضر

بقية المنشور على صفحة ٤

كل شيء بل الى آرائه ونظراته ثم الى أساليب التعبير .

ومع أن الدكتور هيكل يتكلم كثيرا بهذه المناسبة عن الثقافة العربية جملة ويلح في ضرورة تقوية الروابط الأدبية بين الامم العربية ، إلا أنه يعتقد أن كل أمة عربية على حدة ستنشيء لنفسها على الأيام حياتها الأدبية الخاصة . ومن أجل هذا صارت آماله وجهوده موجهة على الأكثر لخلق ثقافة مصرية حديثة . ففي كل كتاباته — في زينب التي أهداها الى « مصر » بحرارة الى آخر ما سطر — يتقد هذا الحب القوي لبلاده . وليس ثم كاتب مصري آخر يظهر مثل هذا الاهتمام بتاريخ مصر القديم ، وليس الفخر الذي لا يفتأ يعرب عنه بالشرق القديم إلا فخرا بما فعلت مصر القديمة . وقد بلغ من قوة هذه العاطفة في نفسه أن أدت الى مقدار من الغيرة من العرب والى شيء من قلة الاكتراث بالأدب العربي القديم ، بل لقد اعترف هو بأنه كف عن الاهتمام به منذ ١٩١٠ . وهو يشكو من اهمال الادب المصري في الجامعة المصرية ومن أن كتابات المعاصرين من المجددين والمقلدين على السواء ليس فيها هذا الاحساس المصري . غير أن هذا الاحساس المصري في نفس الدكتور هيكل يختلف كل الاختلاف عن ذلك الرغاء الزائل الذي ظهر منذ ١٩١٩ بين فريق من المصريين ، ومع انه يشاطرهم آمالهم السياسية ، ومع انه استغل — كما لا شك ان له الحق — العاطفة الوطنية المتقدة لأغراضه هذه الا أنه يدرك انه ما من تقدم سياسي يرجى له دوام أو يستطاع من غير أن تكون هناك نهضة عقلية واجتماعية لا تزال الى الآن في بداياتها . فرجال هذا العصر ونساؤه طلائع ، وعلى نجاحهم في إحداث التغيير العقلي في الجيل الناشيء يتوقف مستقبل مصر .

الشباب المنفي

لفرنسوا ده شاتوبريان

كم لدي من الذكريات الطيبة والتفكيرات الحائرة عن مسقط رأسي الانيق ، ومنبت شعبتي الجميل ! يا أختاه ، ما كانت أجملها أيام فرحها وما كان أزهاها ! لهفي على وطني العزيز واحسرتي ! ألا دم أيها الوطن موضع حبي ، وقبلة غرامي وآمالي

***

أتذكرين يا عزيزتي هذا المهد الافيح الزاهر وتلك الايام السعيدة البهيجة ، حين كانت تضمنا أمنا الى صدرها الحران وقلبها الجذل ، في كوخنا الصغير المنفرد . لكم كنا نقبل شعورها الفضية وجدائلها العجيبة .

***

هل تذكرين يا أختاه هذا القصر الذي كان ينساب أمامه نهر لادور ويتلوى . وذلك البرج العتيق حيث كان يتعالى من أقبائه أناشيد الناقوس الشجية وأغانيه الرخيمة معلنة اياب النهار

***

أتذكرين البحيرة الهادئة التي كان يحلق عليها الخطاف ويمر مرا سريعا عاجلا ، وتلك الرياح البليلة التي كانت تحني هام النصب المهتزة وتلوي ، هذه والشمس الساطعة التي كانت تغوص في الماء وتتوارى ؟

***

أواه ! من ذا الذي يرد لي هاتيك العزيزة ويعيد إلي جبلي الشاهق وشجرة البلوط العظيمة حنين ذكراهم يجدد كل يوم أتراحي . والهفتاه على وطني العزيز وواحسرتاه ؟ ألا دم أبدا أيها الوطن مبعث حبي ومأتي غرامي المتجدد !

طنطا — محمد حسن السيد

...ور النظام النيابي

(بقية المنشور على صفحة ٧)

...دستور بازيل لند (سنة ١٨٩٢) وبرن ١٨٩٣) .

...وتم ادخال الحقوق الشعبية المشار اليها ...في دستور زوريخ في الوقت الذي أتسع ...ال عمل رجال السلطة العموميين في منطقة ...ون الاقتصادية :

...لم يدرك الذين ادخلوا نظام الاستشارة ...دستور السويسري سعة نطاق البدعة التي ...وما لا كانوا يدركون الى اي حد ستنجح ، ...الكثيرون من رجال السياسة في منتصف ...القرن التاسع عشر يرتابون في نجاحها ويقابلون ...الى الاقتراع المتناقضين . فبموجب النظام ...الاول كان أهالي المقاطعات الصغيرة يأتون من ...البعيدة للبحث معا تحت قبة السماء ويصدرون ...حكمهم في مصير القوانين بمجرد رفع أيديهم ...دلالة على الموافقة أو عدم الموافقة . وبموجب ...النظام الثاني كان أفراد أهالي المقاطعات الكبيرة ...يدلون بالاقتراع بالطريقة الشائعة ، وهي القاء ...أوراقهم في صناديق الخطابات في يوم أحد الموظفين ...لاحصاء الاصوات وفرزها .

وذهب رجال السياسة يومئذ الى أن النظام ...الاول وحده يحتوي على الضمان باظهاره ارادة ...الامة الحقيقية ، وان النظام الثاني كان ديموقراطية ...زائفة . ومع ذلك فان هذا النظام حاز في الآخر ...رضى الذين لم يكونوا يعطفون عليه وشاع ...في العالم كله .

ورب امريء يسأل ما سبب ذلك ؟

فالجواب عنه أن هنالك عدة أسباب . أهمها ان ...هذا النظام علاجا لسيئة من أخطر مساويء المبدأ ...النيابي ونعني بها احتمال ان ارادة النواب الذين ...يمثلون الامة لا تطابق ارادة الامة نفسها .

وفي خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن ...العشرين اقتبست أميركا وأستراليا نظام الاستشارة ...من سويسرا . ولا تزالان تعملان به حتى الآن . ...ولما وضعت الحرب العظمى أوزارها أدمجت دول ...أوربا الوسطى ذلك المبدأ في دساتيرها ...البرلمانية . ولا شك أن طريقة العمل بهذا ...المبدأ في دولة الريخ الالمانية (مع اختلاف المبدأ ...في تلك الدولة قليلا عنه في سويسرا) هو برهان ...قاطع على خطأ الذين يعتقدون أن ذلك المبدأ ...لا يصلح للبلاد الكبيرة بسبب الصعوبة في تنظيم ...الاستشارة ...

...ولقد يصح القول بأنه ليس في سويسرا أحد ...يدعو الى الغاء نظام الاستشارة ، وليس هنالك من ...يدعو الى العودة الى نظام سنة ١٨٤٨ النيابي . وقد ...رضي الاهالي أن يروا في نظام الاستشارة ...ضمانة كاملة حتى انهم قرروا في سنة ١٩٢١ أن ...تعرض جميع المعاهدات مع الدول الاجنبية ...على الامة للاستشارة فيما اذا كانت تلك المعاهدات ...ستستمر الى خمسة عشر عاما . ومن المحتمل أن ...يأتي يوم لم يدركوا بالتمام ما في مثل هذا النظام من ... [illegible]

الحالة عمد القوم الى وسيلة قانونية . وسنورد فيما يلي مثالا على ذلك .

في ختام سنة ١٨٩٩ وافق مجلسا الدولة على قانون يقضي بانشاء نظام اجباري للتأمين ضد الامراض والاصابات في المعامل . فلما عرض القانون على المجلس الوطني لم يقترع ضده سوى عضو واحد . ولكن لما استشيرت الامة السويسرية كلها في ٢٨ مايو سنة ١٩٠٠ كانت الاغلبية الساحقة في جانب رفض القانون . ولم تحبذه سوى مقاطعة جلاريس وحدها .

ونظام الاستشارة هو وسيلة الاقليات الاعتيادية في سويسرا . وهو يعمل به في جميع المشاكل التي يراد سبر رأي الامة فيها : وقد أصبح الشعب السويسري بفضل هذا النظام ، هو المتحكم الحقيقي بمصيره . وهي درجة من النضوج السياسي يصعب كثيرا جدا بلوغها . ومع ذلك فلا يتوهمن أحد أن الجمهور الذي يحق له الانتخاب يبت في مشاكله الفنية بلا مساعدة . فقد جرى المجلس الاتحادي على خطة من شأنها أن تلقي على الحكومة مسؤولية وضع جميع مشروعات القوانين . وكل عضو يريد القيام بعمل تشريعي في دائرة يجعلها الدستور من اختصاص حكومة الاتحاد ، يقدم مذكرة بذلك الى المجلس الاتحادي الذي يمارس السلطة التنفيذية . فاذا وافق المجلس على تلك المذكرة عهد الى المصلحة المختصة بوضع مشروع القانون المذكور . ولهذه المصلحة أن تستعين بكل مساعدة تراها لازمة أو نافعة . ومتى وضعت تلك المصلحة مشروع القانون رفعه المدير الى المجلس الاتحادي ثم الى البرلمان السويسري للمناقشة فيه .

وبناء عليه فعندما يعرض أي قانون مسنون على الوجه المذكور على الامة لاستشارتها فيه تكون معظم المسائل المتفرعة منه قد قتلت درسا وتمحيصا بأغلبية نواب الامة . ولا يطلب من الامة أن تقوم بذلك الدرس والتمحيص مرة أخرى بل كل ما يطلب منها هو ابداء رأيها .

وقد تستشار الامة على هذا الوجه في كل تشريع جديد فتدعى لممارسة حقوقها من دون وساطة الدوائر الانتخابية . والطبقات التي يحق لها الاقتراع لا تعطي قيادها للذين ينوبون عنها بلا قيد ولا شرط . وقبل أن تصدر حكمها في كل موضوع يحق لها أن تسمع من الآراء غير الآراء التي تسمعها من أعضاء البرلمان — آراء الخبراء الذين لم يشتركوا في مناقشات البرلمان والذين لا يخرجون من عزلتهم إلا في أواخر أيام المعركة الصحافية التي تسبق استشارة الامة . ففي ذلك الدور يستطيع أولئك الخبراء أن يبدوا رأيهم الذي يرجح احدى كفتي الميزان . فهم بهذا الاعتبار مستشارو الامة الخصوصيون .

ورب امريء يسأل هل معنى هذا أن أعضاء المجالس النيابية في سويسرا هم في مركز منخفض ؟ وهل أن حرية القول والرأي عندهم سليمة ؟ والجواب عن ذلك بالسلب . فهم أقل خضوعا من غيرهم للقيود الحزبية والاجتماعات الرسمية

المنتخبين والدوائر التي تنتخبهم في امور جوهرية ، فكثيرا ما أعادت تلك الدوائر انتخابهم . وسبب ذلك أن الجمهور الناخب يقول بما أن الكلمة الاخيرة في كل شيء هي له فهو يغتفر ما قد يظهر بينه وبين النائب عنه من الخلاف في الرأي وقلما يسحب منه ثقته . وقد كتب مراسل جريدة «الديلي» من جنيف مرة يقول : « إن الشعب السويسري شعب غريب الاطوار فهو ينكر رأي نوابه ثم يعود فينتخبهم ثانية » . وقد كان ذلك على أثر اعادة انتخاب معظم النواب الذين أظهرت استشارة الامة خلافا عظيما في الرأي بينهم وبين الامة .

ومن الامور التي تجدر ملاحظتها أن النظام البرلماني ليس سائرا في سويسرا فيما يتعلق بممارسة السلطة التنفيذية . والحكومة (أي الوزارة) ينتخبها المجلس الاتحادي (أي المجلسين معا) لمدة ثلاث سنوات . ولا يستطيع أحد عزلها قبل انتهاء المدة . وهذا من مبادئ النظام السويسري الاساسية وهو يجمع بين النظام النيابي ونظام الاستشارة . وهذا النظام كثير الشبه بنظام الولايات المتحدة . والبلاد التي لا يعرف فيها نظام الاحزاب (كما هو في البلاد البريطانية) تسمى الجمل ووزاراتها أكثر دواما وثباتا . ففي فرنسا مثلا اقترح المسيو هنري جوفنيل أن ينتخب المجلسان رئيس الوزراء لسنة واحدة كما ينتخب رئيس المجالس البرلمانية .

ولا يعزب عن البال أن سويسرا هي دولة اتحادية فهي لا تعرف إذا مشكلة اللامركزية . ووظائف برلمانها هي ذات صفة عامة فلا يحتمل أن يقع تحت تأثير المصالح المحلية

ولمبدأ الاستشارة باعتباره ركنا من أركان النظام النيابي حرية عظيمة جدا ، وهي أنه يضع النائب (والسويسريون يسمونه المستشار) بازاء الرأي العام الذي ليس هو رأي حزبه . وهذا يرغم كلا النائب والذين يديرون لأجله المعركة الانتخابية على مراعاة آراء خصومهم السياسيين الذين لهم الحق مثلهم في أن يعتبروا خدام الوطن . وعليه فهذا النظام هو مما يستطيع أصحاب الآراء المتناقضة قبوله بشرط أن لا يكونوا أعداء للنظام الديمقراطي في حد ذاته . وهو في الواقع يحقق المبدأ الاساسي للنظم البرلمانية وهو أن يشترك الناس خارج البرلمان والاعضاء داخله في الاهتمام بجميع الشؤون المهمة .

واذا كان الغرض — كما صرح أعضاء البرلمان الاسوجي في مؤتمر وشنطون في وسط الموافقة الاجماعية — هو ترقية تهذيب الامة ، فنظام الاستشارة يحقق ذلك الغرض على وجه أكمل . وما من نظام آخر يرغم الدولة على رفع مستوى رعاياها الادبي والعقلي .

أما المطاعن التي يوجهها بعض أهل الجيل الحديث الى الديمقراطية فقد بحث فيها الصحف السويسرية « والجمعية الملفيشية الجديدة » التي تنص قوانينها على انه لا يجوز أن يدخل في عضويتها بعد سن العشرين ، وتدل نتيجة المناقشات على أن الانتقادات التي وجهت من بعض الجهات كانت تتناول مسائل ثانوية أو نظما ليست في الواقع وليدة النظام الديمقراطي في سويسرا .

وليس الغرض مما تقدم أن النظام السويسري السياسي ليس به شوائب . فالحاجة تدعو الى اصلاحات كثيرة . ولكن ما من أحد يرتاب الآن في هذا المبدأ الذي قد رسخ في نفس الامة منذ نصف قرن والذي ينص على أن الشعب هو رب المنزل ، وما من أحد يستطيع حراسة المنزل مثل ربه .



قصة الاسبوع

الاميـــــــــــرة

للكاتب الالمانى الاشهر هوفمان

— ٣ —

وكان زافييه يتحدث بحماسة واضطرام ، فتأثر قلب الكونتة الفتية وتغلبت على اضطرابها وحدجته بنظرتها الفاتنة ، فاشتد انفعاله وأخذ يضطرب فى روايته ويتحدث عن حركات الجند والصفوف ، فاسترقته هرمنجلد بفروغ صبر وقالت له : « لا تصف هذه المناظر الدامية ، وقل لى فقط انه يحبنى ، ان ستانسلاس يحبنى ! »

فأمسك زافييه بيد هرمنجلد ووضعها على قلبه وقال : « اسمعيه اذاً ، اسمعى الى حبيبك ستانسلاس » وأغرق فى التضرع والاعراب عن هواه ، ثم ارتمى أمام قدمى الفتاة وطوقها بذراعيه وحاول أن يضمها الى صدره ، ولكنها ردته بعنف ، وحدجته بشدة ، وقالت له بصوت أجش : « انك تحاول عبثاً ، ولو ضممتك الى صدرى ، فلست ستانسلاس ، ولن تكونه أبداً » ثم غادرت الغرفة على أثر ذلك .

وأدرك زافييه خطأه بعد فوات الوقت ، وشعر أنه يهيم بهرمنجلد وأن كل محاولة يبذلها لاطفاء هواه تكون خيانة للصداقة . فعول على الرحيل دون أن يرى هرمنجلد متذرعاً بالبسالة والصبر ، ونفذ عزمه فى الحال باعداد عربته .

ودهش الكونت اذ رأى زافييه يودعه ، وحاول أن يستبقيه ، ولكن زافييه أصر على عزمه بقوة وحرارة . وكان يقف أمام الكونت فى وسط البهو ممسكاً قبعته بيده ، وغلامه فى الغرفة المجاورة يحمل له معطفه ، والخيل تصهل فى رحبة الدار .

ولكن الباب فتح فجأة ، وتقدمت هرمنجلد من زافييه بطرف متراخ ، وقالت له باسمة : « أتريد الرحيل يا عزيزى زافييه ، وهنالك على ما اعتقد أمور أخرى ترويها لى من حبيبى ستانسلاس ؟ ألا تدرى أن ما رويته لى كان لى عزاء بديعاً ؟ »

فخفض زافييه عينيه محمراً . وكذا الكونت نبومسين أنه لم ير هرمنجلد مثله أشهى فى مثل هذا البشر وصفاء الذهن ، وأشار باحضار الشاى الى البهو ، ولم ينفذ الماهر فى الكوونس ، ورفعت هرمنجلد كأسها الى شفتيها وشربت نخب حبيبها ونخب الوطن والحرية ، وكذلك زافييه يقول لنفسه انى سأرحل هذا المساء . فلما

بردها واعادة الخيل الى المربط ، وأخذ السائق يغط فى سباته ، فعندئذ استسلم زافييه الى مجرى الامور .

وكان ظهور هرمنجلد على هذا النحو الفجائى قد أقنعه بأن فى البقاء سحراً ولذة ، ثم تطرق من ذلك الى خاطر آخر ، ورأى أنه يكفى أن يعرف كيف يضبط عواطفه وأن يقاوم هـذا الهوى الذى لايسفر إلا عن اضرام روح الفتاة الضعيفة ، وعن سوء العاقبة بالنسبة اليه ، وأنه اذا كانت هرمنجلد تؤثر سعادة حاضرة على مستقبل غامض ، فانما يكون ذلك حكم القدر ، ولن يكون عندئذ فى ذلك ما يخرق حرمة الصداقة والوفاء .

ولما التقى زافييه بهرمنجلد فى اليوم التالى استطاع أن يضبط أفكاره الملتهبة ، واعتصم بالتحفظ والادب البارد ، ولم يسبغ على حديثه غير تلك المطارحة الذابلة التى هى للنساء سم خطر ، وكان رغم حداثته وقلة خبرته فى شؤون الحب يؤدى بسذاجته ما يؤديه الاستاذ الماهر ، فلم يتحدث إلا عن ستانسلاس وعن وفائه المكين ، ولكنه كان من خلال حديثه يكشف عن اضطرام نفسه بحيث أخذت الكونتة بسحر حديثه ولم تعرف أن تفرق بينه وبين ستانسلاس .

وسرعان ما غدت صحبة الضابط الفتى ضرورة لهرمنجلد ، فكانا يجتمعان فى كل وقت تقريبا ويتبادلان أحاديث الحب . وفقدت هرمنجلد شغفها بعمل العادة شيئاً فشيئاً ، وترك زافييه أيضا ذلك الادب المتحفظ الذى أراد أن يتبعه بدقة ، واعتادت الفتاة أن تقدم اليه ذراعها وأن تتنزه معه فى البستان على هذا النحو ، وأن تترك يدها فى يده دون كلفة حينما تجلس فى غرفتها مصغية الى حديثه عن ستانسلاس ، ولم يكن يشترك الكونت نبومسين فى اجتماعهما الأحينما يدور الكلام على شؤون السياسة والوطن . ولم يكن ذهنه يشغل بأمر آخر ولا يتصور حوادث الحياة العادية ، ولم يكن يدرك من امتلاف هرمنجلد ، ولكنه ارتاح اذ رآها تستعيد بهجتها أمام ساحر آيه والضابط اذ خطر له أن يجعل صفوة وأن يأخذ مكان ستانسلاس .

انها تستعيد شيئاً فشيئاً الى أمانى الضابط الفتى . ولكن حدث ذات صباح أن أذيع فى القصر أن هرمنجلد قد أغلقت جناحها على نفسها ووصيفتها ولا تريد أن ترى أحداً . فاعتقد الكونت انها أصيبت بنوبة جديدة طارئة لا تلبث أن تزول ، ورجا زافييه أن يحاول بنفوذه أن يعيد هرمنجلد الى حالتها العادية . ولكن شد ما كانت دهشته حينما رأى الضابط الفتى يأبى أن يقترب من حبيبته ، ورآه قد تغير جلة واستبدل بجرأته العادية الاحجام والخور ، وبطلاقته التلعثم والاضطراب . وقال زافييه انه لابد له من العودة الى فرسوفيا ، وأنه لن يرى هرمنجلد بعد ذلك أبداً ، لان طباعهما تأتى الاضطراب الى نفسه وان وفاء هرمنجلد الراسخ لحبيبها يذكره بما يجب عليه من الوفاء لصديقه ، وان فراره العاجل هو الوسيلة الوحيدة لنجاته . فلم يفهم الكونت شيئاً من كلامه وخيل له فقط أن الفتى قد تأثر بجنون ابنته ، وحاول أن يحمله على العدول عن رأيه ، ولكن زافييه أصر على الرحيل أيما اصرار ، وأخيراً هرع الى عربته كأنما دفعته قوة قاهرة ، واختفى على الاثر .

وغضب الكونت لتصرف هرمنجلد ولم يعن بعد بشأنها ، واعتزل فى جناحه ولم يرأحداً غير وصيفته .

وفى ذات صباح كان يجلس مفكراً فى غرفته ، ففتح الباب وظهرت هرمنجلد فى ثوب حداد ، وتقدمت من أبيها فى جلال ، ثم ركعت أمامه وقالت : « أبتاه ! لقد توفى زوجى الحبيب الكونت ستانسلاس . مات فى ميدان الحرب موت الابطال ، وان أرملته المنكودة لتجثو أمامك » .

وكان الكونت قد تلقى فى المساء السابق فقط أنباء حسنة عن ستانسلاس ، فرأى فى هذا المنظر الذى مثلته ابنته نوبة جديدة من الذهول ، فقال لابنته : « هدئى روعك يا بنيتى العزيزة ، ان ستانسلاس يعيش ولن يلبث حتى تضميه اليك » :

عندئذ زفرت هرمنجلد زفرة عميقة ، وارتمت نصف مغمى عليها فوق الوسائد ، ثم عادت الى صوابها وقالت بصوت هادئ ثابت : « اسمح لى يا أبتاه ان أقص عليك كل ما حدث ، وعندئذ ترى أننى أرملة ستانسلاس : منذ ستة أيام كنت أجلس فى المساء فى روشن فى نهاية البستان ، وكانت كل أفكارى تدور حول حبيبى ، فشعرت فجأة بعينى تنغلقان ولكنى لم أنم ، وانما كنت يقظة حالمة ، وسرعان ما سمعت ضجة مضطربة وطلقات نار عدة تدوى على مقربة منى فانتفضت ، وشد ما كانت دهشتى اذ وجدت نفسى فى خيمة وأمامى ستانسلاس يجثو ، فضممته الى صدرى وشددته الى قلبى ، فصاح « هيا » اذ الشمعة وأنت لى » ثم قال لى : انى قد أمحى على عقب عقد خطبتنا ، وأذكر عندئذ أن الاب سبيريان الذى كان فى الخيمة وقتئذ ، قد عقد زواجنا فى الكنيسة المجاورة على قصف المدافع ، وأن خاتم الزواج كان يلمع فى أصبعى ، وأننى أحسست سعادة كبرى فى معانقة زوجى وكان يحول هذه السعادة ...

وقد احترقت خيمتنا ، وأحاط نفر من الاعداء بستانسلاس ، وهرع رفاقه الى انقاذه ، ولكن فات الوقت ، فان فارسا طعنه بسيفه فسقط صريعا من فوق جواده » .

وغلب هرمنجلد الاسى فأغمى عليها ثانية ، ولاطفها الكونت حتى أعاد اليها الرشاد ، فقالت له بصوت خاشع : « فلتكن ارادة الله . ان الشكوى لا تخلق بى ولكنى سأبقى الى الابد وفية لزوجى ، ولن تفصلنى عنه رابطة دنيوية ، وسوف أصلى لسلامه وسلامنا ، وهذا قنائى » .

واعتقد الكونت نبومسين بحق أن الاضطراب العقلى الذى تعانيه هرمنجلد هو العامل الوحيد الذى بعث الى ذهنها هذا المناظر المروعة ، وأنها بالنظر لحياتها المنعزلة الهادئة ، لم تأس لتلك الحال التى تؤمل أن تنتهى بعود ستانسلاس القريب . ولكن الكونت اذا كان يسخر أحيانا من الاحلام والاوهام ، فانه كان يرى أمامه هرمنجلد تبسم فى حزن ، وتدنى خاتمها من ثغرها وتبلله بدموعها . وقد لاحظ بدهشة أنه لم ير هذا الخاتم قط فى أصبع ابنته ، ولكنه لم يهتم بأمره لاعتقاده أنها تستطيع الحصول عليه بألف وسيلة ، غير أنه سرعان ما علم بعد ذلك أن الكونت ستانسلاس قد أسر فى الحرب ، فتأثر لذلك أشد التأثر . وفى نفس الوقت أخذت هرمنجلد تشكو من انحراف غريب لم تستطع وقوفا على كنهه ، ولكنه كان يبعث الاضطراب الى كل شئ ...

وذات يوم قدم البرنس ز ... الى القصر مع زوجه . وكانت والدة هرمنجلد قد تزوجت شابة فتولت الاميرة ز .. رعاية هرمنجلد وكانت بينهما صداقة وثيقة . فأفضت اليها هرمنجلد بآلامها وشكت اليها مر الشكوى من أنهم يعاملونها كمجنونة فى حين أنها تستطيع أن تقدم أسطع الادلة على زواجها من ستانسلاس . وكانت الاميرة تعرف ما تعانيه الفتاة من ضعف معنوى فلم ترد أن تناقشها ، بل قالت لها : إن الوقت كفيل بايضاح هذه الخفايا جميعها ، وانه يجب الخضوع لقضاء الله على أى حال . بيد انها اهتمت لما قالته هرمنجلد عن حالتها الجسمية وعن بعض أعراض تزعجها ، ومن ذلك الحين أخذت الاميرة تراقب حالة الكونتة الفتية باهتمام يزداد كلما زادت هدوء أو سكينة . وكانت هرمنجلد قد أخذ خداها وشفتاها الباهتة تستعيد شيئاً من روائها وأخذت عيناها تستعيدان ضياءهما ، وأخذ ينمو جسمها الذى هزل ، ثم بدت أخيراً فى ذروة شبابها وجمالها . ومع ذلك فان الاميرة كانت تعتبرها أشد مرضا من ذى قبل . وكانت تسألها كلما رأتها تصعد الزفرات : كيف أنت اليوم يا بنية ، وماذا تشعرين ؟

وأخيراً بحث الكونت والامير والاميرة معاً فى الوسائل التى يجب اتخاذها لانتزاع هرمنجلد من تلك الفكرة الثابتة ، وهى كونها أرملة ستانسلاس ، فقال الامير انه يعتقد أنه مرض لا شفاء منه ، لأن ... الاميرة ...

... الكون قد ... يوماً »
... انها حامل ! » ثم نهضت الاميرة
... الغرفة .
... الكونت والامير كل يتأمل صاحبه
... قال الامير : ان لزوجته أحيانا فكراً
... فقال الكونت : « ان الاميرة محقة
... فى اعتبار الواقعة التى أشارت اليها
... ولكن ماقولك اذا اعترفت
... حينما رأيت هرمنجلد بالامس خطر لى
... هذا الخاطر ؟ » .
... الامير : اذاً تجب استشارة الطبيب
... فانما يقضيان بخطأ الاميرة أو يقضيان

... أيام فى تردد ومباحثة ، واعترضت
... استدعاء طبيب قد لا يؤمن على السر .
... ان الضرورة قد تدعو اليه فى بضعة

... صاح الكونت مرتاعا : وماذا تعنين ؟ .
... الاميرة : أجل ! لم يبق ريب ، فاما
... ان هرمنجلد أعظم منافقة خلقت ، واما
... ان تلخصها نذل ، لأنها حامل حقيقة » .
... استولى الذهول على الكونت ولزم
... غرفة ، ثم استعاد جنانه ورجا الاميرة
... بأى الوسائل عن ذلك النذل الذى
... ابنته بعار لا يمحى .
... الاميرة : « ان هرمنجلد لا تعرف
... أمرها حالها ، وانى أنتظر فرصة
... اليها الحقيقة ، واعتقادى أنها خلال
... قناع الرياء أو تدلل على براءتها
... لا أستطيع تصورها » .
... (للكلام تالى) « ع »

... دائرة معارف
... أدبية
... العصور الاسلامية

بالمكتبة العربية

شذرات

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة .

قرآن كريم

العالم والمتعلم شريكان فى الخير .

حديث شريف

كثير القول ينسى بعضه بعضا وانما لك ماوعى منه .

ابوبكر الصديق

لايكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا

عمر بن الخطاب

خير أمة الكبيبا كفالك ، وخير اخوانك من واساك .

الامام على

تصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذى ضلالة الى هدى

بزرجمهر

إعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعادل صلة الجاهل

الأحنف بن قيس

الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ، والتقرب منهم مجلبة لجليس السوء ، فكن من الناس بين المنقبض والمسترسل .

أكثم بن صيفى

كل جسيم من أمر الدنيا يكون ضرره خاصا فهو نعمة عامة ، وكل شئ يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

ابن المقفع

من أشد الظلامات وأعظمها فى افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق .

ابن خلدون

« الحق يكون حيث القوة الوثيقة »

جمعها عبدالله حسنين ابو الشيخ

مدرس

شوبين

(بقية المنشور على صفحة ١٩)

قدمته دوقة سترلاند إلى الملكة . . وأضحى الموسيقى مطمح أنظار النساء رغم شحوبه الذى كان يكسو جماله بهاء . وأخذ شوبين يذيب باقى حياته فى العزف غير آبه بوصاة الأطباء ، وزار جلاسجو رغم الحاح أطبائه عليه بالاخلاد للراحة والابتعاد عن جوها الملبد بالسحب والمشبع بالرطوبة ، فلم يأبه لهم .. ثم عاد إلى لندن والسل فى صدره قد شارف درجته الأخيرة ! حيث عزف فيها لآخر مرة فى حياته ثم عاد مسرعا إلى باريس ... ولكن طبيبه الدكتور مولين الذى طالما أحياه من العدم كان قد مات ، ولم يكن لشوبين ثقة فى غيره . وعرته الكآبة وأفعمه الأسى وأضحى لا يتكلم إلا نادرا ولا يغادر فراشه إلا لماما . . راقداً فى هدوء وقد أحاط بفراشه الكونتيس دلفين بوتوكا وأخته لويزا .

وذات مساء بعد أن غاب عن الوجود فى غيبوبة طويلة أفاق حين رأى الكونتيس تبكى عند قدميه .. فقال لها فى صوت متقطع لا يكاد يسمع : « غنى ! » وكان لها صوت جميل كما كان طلبه عجيباً . ولكن شغفه بالموسيقى ما فارقه حتى أخريات عمره حتى إن أصدقاءه نقلوا « البيان » من غرفته الخاصة إلى غرفة نومه .. وبدأت الكونتيس فى الغناء بصوتها الملائكى العذب وأشعة الشمس الواهنة تترقرق فى أرجاء الغرفة آنية للمغيب .. والكونتس تنشد الانشودة الشهيرة للعذراء « The virgin » التى قيلت مرة فى نجاة حياة ستراديلا « Stradella » فقال شوبين فى صوته الواهن : « ما أجملها .. يا إلهى ما أجملها . مرة أخرى مرة أخرى ! » . ولكنه راح فى غشيته ثانية .

وفى السابع عشر من اكتوبر ... شوبين على مشارف سن الاربعين لفظ أنفاسه الأخيرة بين يدى أخته ... الذى كان يحبه .

... دار ... طاقات من الزهر الذى كان يكلف به شوبين ... فى اليوم التالى ...

حذار من الفتق !!

ماذا عملت لتتقى الاصابة به !!

يشتمل التجويف البطنى على أهم الاعضاء الرئيسية فهو أهم تجويف فى الجسم كله . ومع ذلك فان الطبيعة لم تحده بجدار من عظام بل اختارت له جداراً من العضلات جعلت فيه فتحات طبيعية تمر منها الاوعية الدموية وركبت العضلات حول هـذه الفتحات بحيث لا تنفذ منها مشتملات التجويف البطنى . فاذا ضعفت هذه العضلات لم تحتمل ضغط الامعاء حتى أنه عند رفع أي شئ ثقيل أو جذبه أو عمل مجهود جسمانى كبير تتمدد العضلات وتدفعها الامعاء الى خارج الفتحة وتنفذ منها — وهذا هو الفتق .

ان العملية الجراحية قد تلزم ولكنها فوق خطرها لا تزيل سبب الفتق بل تزيده . مثل الثوب الممزق فانك ان تضم مزقه وتخيطه لا تقويه الخياطة بل تزيد استعداده للتمزق . والحزام قد يمنع من تفاقم الحالة . ولكنه ليس علاجا . لانه لا يقوى العضلات الضعيفة مطلقاً

ان الفتق ينجم عن ضعف عضلات البطن فعلاجه انما يكون بتقوية هذه العضلات . ولا طريقة لتقوية أى عضلة غير الرياضة البدنية . واذا كان على المصاب بالفتق أن يبادر بطلب تمريناتها لتقوية البطن حذر أن تتفاقم الحالة أو تتعدد الفتوق ، لأن حصول الفتق لا يقتصر على مكان واحد من البطن ، فان كل انسان يجب عليه أن يبادر بطلب هذه التمرينات ، لأن كل انسان معرض لأن يصاب بالفتق ومضايقاته والامراض الناجمة عنه اذا لم تتقو بطنه التقوية الواجبة .

كتاب الانسان الكامل « ٩٦ صفحة ... الفتوق » سوف ...

السياسة الأسبوعية



ترى هل تحمينا هذه القبة من عواصف المعاهدة

الكونت دي مونت كريستو

(بقية المنشور على صفحة ١٦)

ادمون فى النعش

وقفت الاقدام عند الباب وكان يلوح أنهما لشخصين فقط . فأيقن أدمون حفارى القبور أتيا لأخذه . ولم يمض زمن طويل حتى تحقق ذلك الظن . إذ أنهما وضعا النعش على الأرض .

انفتح الباب ، ووصل نور ضئيل الى عينى أدمون ، من خلال ثقوب الجوال الذى يحويه ثم أبصر خيالين يقتربان منه كما أمكنه أن يشعر بوجود ثالث عند الباب يحمل مشعلاً بيده ... وقد مشى الرجلان الى أن صار كل منهما عند طرف من طرفى الجوال ، شملاه ..

قال أحدهما وهو يرفع من ناحية:

— ان الجسم ثقيل ، بالنسبة الى اجسام المسنين النحيفين .

وقال الآخر وهو يرفع الجسم من القدمين:

— يقال انه يضاف رطل كل عام الى وزن عظام الانسان .

فسأل المتكلم الاول :

— هل ربطت العقدة ؟

— أى فائدة تعود علينا الآن من هذا . فى سأنا كدنا عندما نصل الى هناك ..

— حسنا .. يلوح لى انك على حق .

وفى ذلك الاثناء كان دانتيه هذه الفكرة .

— العقدة ! .. ولأى شيء هذه العقدة ؟

أخيراً وضعا الجثة على النعش ، وكان ادمون (متشنجا) جسمه ليوهم الناس انه حقا ميت .

وتلا الملم يتقدمها حامل المشعلة يضيء لها السبيل بنورها البسيط .

وعلى حين فجأة شعر دانتيه ، بهواء الليل البارد العليل ، وقد أمكنه أن يتبين أن ريح المسترال الشديدة كانت تهب فى تلك الليلة .. لكنه فى تلك اللحظة انتابه شعور غريب ، اذ امتلأت نفسه بالسرور لانه سيصبح حراً ، وزال منه الخوف كل منال بسبب الخطر المحدق به من جراء تلك الريح ..

تقدم الحاملان عشرين خطوة ثم وقفا ، بعد أن وضعا النعش على الارض ، وقد سمع ادمون صوت وضع مادة ثقيلة على الارض بجانبه ، وفى نفس الوقت شعر بحبل يربط بشدة حول قدميه .

وهنا سأل أحد الحفارين زميله :

— ها .. هل ربطت العقدة جيداً ؟

فكان الجواب هكذا :

— بلى .. وشددتها جيداً .. انى أقول!

— فلنتقدم اذاً ..

ورفعا النعش مرة أخرى وسارا ..

القبر المائى

ساروا نحو خمسين خطوة ، ثم وقفا ليفتحا بابا قبل أن يتقدما فى سبيلهما ، وبينما كانا فى سيرهما ، أوقفا ما فى الطريق ووصلت الى اسماع دانتيه أصوات الامواج المائجة ترتطم بشدة وتوءدة بالصخور والصلبة التى بنى عليها ما توجد .. فقال أحد الحاملين :

— جودوى الى ليس الاقسام الطبس فى البحر .

فقال آخر :

— هنا .. ولكن من حسن حظ القسيس أنه سيبل :

ثم انفجرا يضحكان ضحكات وحشية . لم يفهم دانتيه السعادة فى حديثهما ، وغاية ماجرى له أن شعره وقف على جلد رأسه .

وقال أحدهما بعد أن سارا عدة خطوات :

.. ها قد وصلنا أخيراً .

فقال الاخر:

— لا . فلنتقدم قليلا . فلنتقدم قليلا .. لانك تعلم جيداً ماجرى لآخر واحد ألقيناه فى البحر ، لقد حاقته الصخور النائتة عن السقوط الى الماء ، فتحطم جسمه وكان قول الحاكم عنا اننا كنا مهملين .

وعلى هذا سارا خمس أو ست خطوات أخرى ، ثم شعر دانتيه أن أحدهما أمسكه من رأسه ، بينما أمسكه الاخر من قدميه وهزا جسمه فى الهواء من ناحية الى الاخرى ثم قال الاثنان:

— واحد . اثنان .. ثلاثة . والى اليم

وفى نفس تلك اللحظة الاخيرة بالضبط ، شعر دانتيه بنفسه ملقى فى الفضاء فتوهم ان دمه قد تجمد . ومع أن ثقلا كان مشدودا الى قدميه ليساعده على الهبوط بسرعة الى سطح الماء فانه شعر أن الوقت الذى قضاه فى السقوط ، كان قرنا كاملا من الزمان !

وكيفما كانت الحال ، فانه ارتطم بالماء البارد بشكل مرعب ، وما كاد يلمس جسمه سطح البحر ، حتى صرخ صرخة شديدة ، لكنه كظم نفسه لوقته اذ غاص تحت الامواج .

وهكذا ألقى دانتيه الى البحر ، بعد أن شدوا الى جسمه ثقلا له من الوزن ٣٦ رطلا .. ذلك لأن البحر ليس الا مقبرة شاتوديف .

ومع أن دانتيه كان برأسه دوار وبصدره اختناق ، فانه كان يشعر بانه حاضر الذهن ، اذ أنه شق الجوال بسرعة بسكين مفتوحة كانت بيمناه ، ثم أخرج ذراعه ثم جسمه ، وعلى الرغم من محاولته أن يحرر نفسه ويفكها من قيودها فان الثقل الذى شد الى قدميه ، كان يجره الى قاع البحر .

شعر دانتيه بهذا ، فبذل مجهوده الاخير ، مجهود اليائس يطلب النجاة ، فقطع الحبل فى اللحظة التى كاد يختنق فيها ، وبقفزة قوية وشديدة ، ظهر على سطح الماء ، أما الثقل فكان فى طريقه الى قاع البحر ، يجر خلفه الجوال الذى كاد يصير كفن دانتيه .

الكفاح من أجل الحياة

انما بقى لحظة تكفى لأن يملأ صدره بالهواء ثم غطس ثانية ، ليتجنب أن يراه أحد ، وكان عند ظهوره فى المرة الثانية ، على بعد ٥٠ خطوة من موضعه الاول ، فشخص ببصره الى السماء فاذا بها حالكة تصفر فيها الرياح وهى تسوق أمامها السحب المتلبدة المتحركة التى كان يبدو من خلالها من حين الى حين ، نجم لامع ، ما يكاد يتلألأ فى السماء حتى تحجبه السحب بسرعة .. ثم مد ببصره أمامه ، فرأى أمواجها أمواجاً حالكة ورهيبة ، تتدحرج فوقها أمواج هادرة تزيد فكأن فى الجو عاصفة .

أما خلفه فكان يوجد شبح من الجرانيت أسود من السماء الحالكة والبحر الادكن ، هو صخرة ممتدة فى الهواء كأنما هى ذراع وحش ممتد ليقتنص فريسته ، وفوق هذه الصخرة شوهدت شعلتان على مقربة من الشبحين اللذين ينظران الى البحر ، هما بلا شك حفارا القبور اللذان قد سمعا صرخة دانتيه .

وعندما وقع بصره عليهما ، غطس فى الماء ثانية ، وبقى تحته مدة طويلة ، إذ اعتاد على مثل هذه المناورة التى كثيراً ما قام بها فى الخليج الصغير المقابل للمنار فى مرسيليا ، فاستلفت بها أنظار الجم الغفير من الناس .. ولما عاد للظهور على سطح الماء هذه المرة كان النور قد اختفى .

وكان واجبا عليه أن يقاوم البحر الى أن يصل الى أقرب جزيرة يأوى اليها ، وكانت جزيرتا راتنو وبوميج أقرب جزيرتين لشاتوديف لكنهما مسكونتان ، وكانت جزيرة دوم كذلك ، وإذاً فان آمن جزيرة له واحدة من اثنتين : اما تيبولن واما ليمير ، وكلتاهما على بعد فرسخ من شاتوديف . ومع ذلك فقد صمم الشاب على أن يلجأ الى احداهما فى ظلام الليل .

نشاط اليأس

الخوف ! كان الخوف ملازما لدانتيه ملتصقا بجفنيه دائما ، حتى كاد يعوقه عن بذل مجهوداته فى سبيل النجاة .. انصت الفتى لعله يسمع أصواتا بشرية عن قرب منه

وكان فى كل مرة يطفو فيها على سطح الماء ، يرسل نظره الى الافق يتفرس فيه محاولا أن يخترق بصره الظلام الحالك ، كذلك كانت الامواج تتحرك وتتقلب الواحدة أثر الواحدة ، حتى كأنها قوارب تريد اللحاق به ، فكان يضاعف جهوده ، وهكذا زاد بعده عن الحصن ، لكن قوته شرعت تخور وتضعف من فرط الغلو فى الاجهاد ..

فلما شعر بذلك ، قال لنفسه :

— لقد سبحت أكثر من ساعة ، لكن الريح ضدى ، وهذا سبب كونى لم أقطع مسافة أطول ، وعلى العموم فانى ، اذا لم اك مخطئا ، لابد أن أكون قريباً من جزيرة تيبولن.....

ولكن ماذا سيحدث لو كنت مخطئا ؟

عندئذ أصابته رعشة من جراء ما تخوف من عواقب ، وحاول أن يطأ الارض بقدميه ، حتى يستريح قليلا ، لكن البحر كان عميقاً جداً ، وهكذا لم تنفعه تلك الوسيلة .

فقال لنفسه :

— حسناً ... سأعوم حتى أهلك ، ولكن اذا أصاب أعصابى تشنج من طول البقاء فى الماء ، فانى سأغرق بلا شك ..

ومع ذلك فانه قاوم وجاهد بنشاط اليائس فى أحرج الاوقات .

وفيما هو يسبح ويتقدم ، رأى السماء تزداد سواداً وكثافة ، وخيل اليه أن السحب الدكناء قد تجمعت أمامه ، وشعر أيضا بألم شديد فى ركبته ، فظن أنه أصيب بالتشنج ، وجعل يسمع لكن لم تصل طرفه أى شيء .. فوضع يده على ركبته ، وشعر بمقدار مقاومته ثم مد ساقه فاذا بها تلمس صخور القاع ، عندئذ ظهر فى الحال حقيقة ذلك الشبح الذى ظنه سحب ، اذ رآه أمامه

امتدادا من صخور غريبة التكوين هى شواطئ جزيرة تيبولن .

سار ادمون بضع خطوات ، وهو يصلى صلاة حارة إعرابا بشكر الله ، حتى اذا وجد نفسه بعيداً عن الامواج الزاخرة ، مدد جسمه على الجرانيت وكان فى نظره وقتئذ أنعم من الزغب ، وعلى الرغم من الرياح والمطر ، فانه نام نوماً عميقا لذيذاً بعد أن أضناه التعب ونهك قواه .

وقام من نومه بعد ساعة على صوت الرعد القاصف ، وكانت الدنيا تومض بريقا يتلاشى أمامه كل ظلام ، فكأنه نور السموات كلها ، على هذا الوميض المتقطع ، أمكنه أن يرى بين جزيرة ليميرو ورأس كروزيل قاربا كالصولجان يبعد عنه بحو ربع فرسخ . كانت الرياح والامواج تدفع ذلك القارب بسرعة نحوه ، فعندما لاحظ ذلك صاح بكل قوته ، منذرا من به الى الخطر الذى سيحيق بهم ، لو أنهم اقتربوا ، بيد أنهم رأوه ايضا ، ولما أومضت الدنيا مرة أخرى استطاع أدمون أن يميز أربعة أشخاص فى القارب ، بعضهم متعلق بحبال الشراع وبعضهم ممسك بالصارية المحطمة ، كما أن خامسا لهم ، كان قابضاً على (الدفة) المكسورة ، ولقد حملت الرياح أصواتهم الى مسامعه ، فلا بد أن يكونوا قد رأوه ، وكان قماش الشراع المهلهل يتموج ويرفرف فوق الصارية المحطمة ، ولقد تراخت حبال الشراع فجأة ، فغاب القارب فى الظلام ، كما تغطس الطيور السابحة ، وفى نفس تلك اللحظة سمعت أصوات استغاثة فيها من اليأس والالم مافيها ...

جرى دانتيه فوق الصخور ، مخاطراً بحياته اذ كان عرضة لأن تزل منه قدمه فينكسر ، وجعل يصغى ويتفقد الجو ويفتش ببصره ، لكنه مارأى أو سمع شيئاً ، اذ أن كل الاصوات البشرية التى سمعها منذ لحظة قد امتنعت كلها ، انما بقى فقط صوت العاصفة الغضبى التى صارت تهدأ رياحها وتهبط أنواؤها قليلا قليلا بعد تلك الحادثة ، كما أن السحب الرمادية جعلت تتدحرج نحو الغرب فبانت من بعدها زرقة السماء مرصعة بالنجوم اللامعة .

ولم يمض زمن طويل حتى لاح فى الافق خط أحمر ، فابيضت الامواج يلعب فوقها النور فيتوج قممها الزبدية بلون ذهبى بديع مأخوذ من نور الشمس التى كانت تتهادى فى الظهور فى ذلك الصباح .

التفت الى ناحية شاتوديف ، فابصر عند نهاية جزيرة بوميج سفينة تمخر البحر بسرعة فما كاد يراها حتى ألقى بنفسه فى اليم وجعل يسبح الى حيث كانت توجد قلنسوة أحد الملاحين الغرقى ، فأخذها ولبسها على رأسه ثم أمسك بقطعة من الخشب كانت طافية على مقربة منه وقرر أن يعترض سبيل تلك السفينة .

وقال لنفسه :

— لقد نجوت .

اذ انه لما صرخ يطلب المعونة من ... فى السفينة ، أمكنه أن يرى السفينة تتجه نحوه ، كما أنه أبصر الملاحين ينزلون له قاربا ، ولما لم تمض لحظة ، حتى كان اثنان من الملاحين يستعملون مجاديف ذلك القارب ... ولنجدته ...